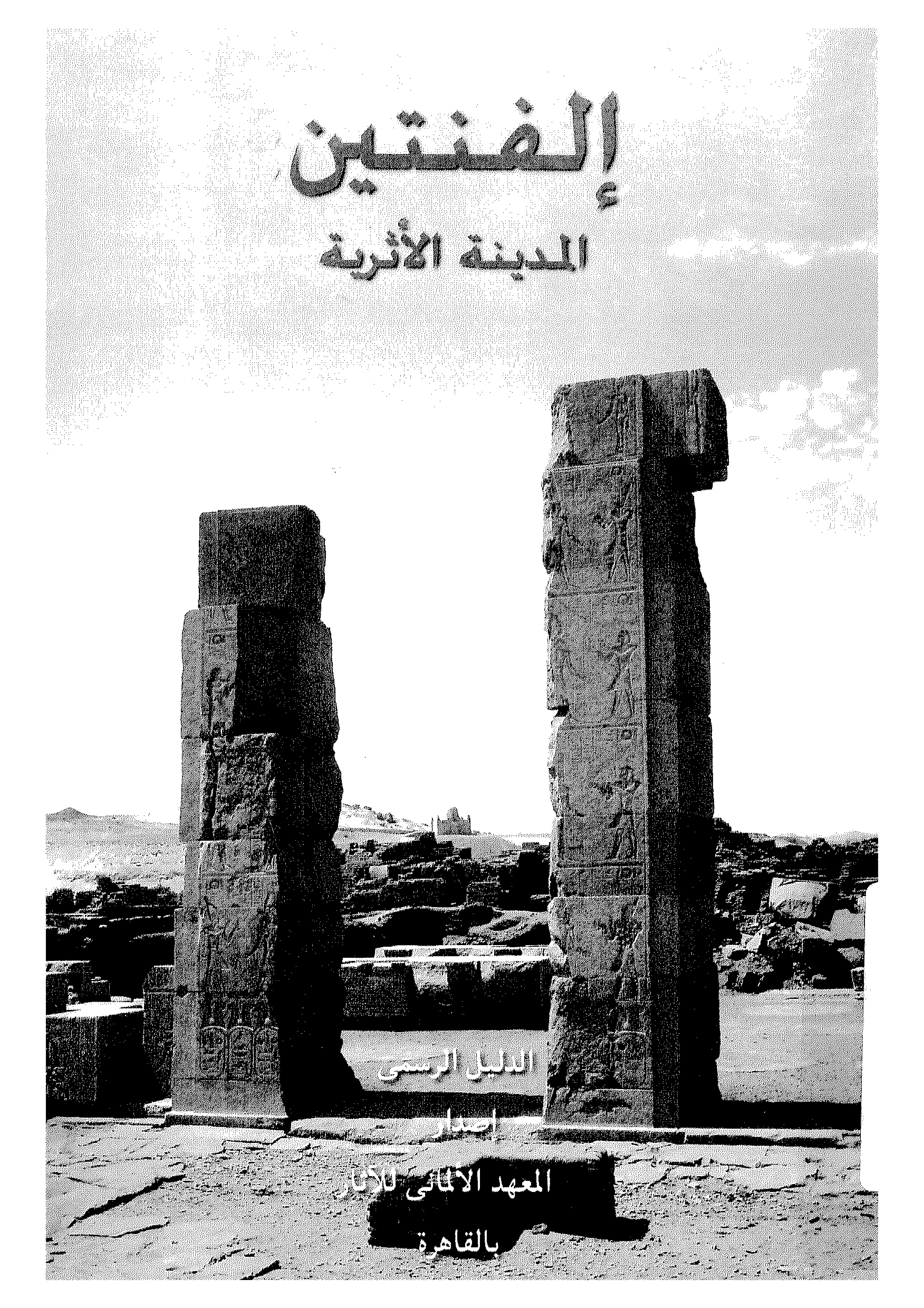

إلفنتين
المدينة الأثرية
الدليل الرسمي
إصدار
المعهد الألماني للآثار
بالقاهرة

إلـفـنـتـين

المـديـنـة الأثـريـة

الدليـل الرسمـى

إصدار

المعهد الألمانى للآثار

بالقاهرة

المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ١٩٩٨
الترجمة إلى اللغة العربية
طارق سيد توفيق أحمد
معيد بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة

طبع في مصر
م. إبراهيم الدالي ـ ماكس جروب

الفهرس

المقدمة

انصب اهتمام علماء الآثار فى حفائرهم لزمن طويل فى المقام الأول على استكشاف المعابد والمقابر المصرية القديمة الكبيرة، التى أوحت بمناظرها الغنية ونصوصها الوفيرة بأنها تعكس بوضوح مصر الفرعونية دون الحاجة لإجراء حفائر لاكتشاف المدن والأحياء السكنية المعاصرة لتلك المعابد والمقابر. ولكن في غضون العقود القليلة الماضية زاد الاقتناع بأن الأسلوب المتبع لا يكشف سوى أجزاء من حقيقة مصر القديمة بل وربما كانت تلك الأجزاء مصورة بشكل مثالى مبالغ فيه.

منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا لا تزال عمليات استكشاف المدن وأماكن التجمعات السكانية القديمة قليلة نسبياً ومن ضمنها حفائر إلفنتين التى هدفت إلى الإلمام بتفاصيل مدينة مصرية قديمة من حيث المعابد والأبنية الإدارية والأحياء السكنية والصناعية فى كليتها المعقدة وذلك على مدى زمن تطورها التاريخى.

وقد أيدت إختيار إلفنتين القديمة لتحقيق هذا الهدف عدة نقاط هى: أولاً: أن فترة عمرانها امتدت من أواخر عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الإسلامى المبكر بحيث تغطى كافة مراحل التاريخ المصرى القديم. ثانياً: وليس أقل أهمية، أن المدينة القديمة، على الأقل فى أجزائها الهامة لم تتعرض للتعمير فى العصر الحديث. ثالثاً: أن مساحة المدينة صغيرة نسبياً بحيث يمكن أن تشمل الحفائر المدينة بكافة أرجائها ومع صغر مساحتها فقد كانت لها أهمية كبرى بصفتها نقطة الحدود الجنوبية لمصر الفرعونية وسلف أسوان الحديثة. رابعاً: أخيراً وليس آخر فإن مدينة إلفنتين الأثرية نظراً لكونها على جزيرة قد أسست على أرض مرتفعة ولذا فهى ليست كباقى طبقات المواقع الأثرية فى سائر أنحاء مصر عرضة لخطر ارتفاع منسوب المياه الجوفيه.

وتُجرى الحفائر منذ عام ١٩٦٩ م بواسطة المعهد الألمانى للآثار بالاشتراك الوثيق مع المعهد السويسرى للأبحاث المعمارية والأثرية لمصر القديمة، وذلك فى مواسم عمل سنوية تمتد من ثلاثة إلى ستة أشهر.وهى مستمرة حالياً، ولكنها وصلت لمرحلة متقدمة من البحث والدراسة، تسمح بفتح الجزء الأكبر من المدينة أمام الزائرين.

ونود أن نتوجه فى هذه المناسبة فى المقام الأول بجزيل الشكر للمجلس الأعلى للآثار المصرية، الذى تكرم بالموافقة على المشروع وأهدافه وتابعه وقدم له العون طوال سنوات العمل. كما نتوجه بالشكر لعدد كبير من العلماء والفنيين والدارسين الذين شاركوا فى الحفائر، بعضهم لعدة مواسم.

ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السادة هينى G. Haeny الذى شغل لفترة طويلة منصب مدير المعهد السويسرى وياريتز H. Jaritz المدير الحالى للمعهد، ومديرى الحفائر المنفذين ومديرى الحفائر المتخصصة فى حقبة زمنية أو فى عناصر معمارية معينة وهم دراير G. Dreyer وكركلر A. Krekeler وماير W. Mayer وفون بيلجرم C. v. Pilgrim وزايدلماير S. Seidelmayer وتسيرمان M. Ziermann، والمهندسين مينوث U. Minuth ونيدر برجر W. Niederberger وشوبنر K. Schoeppner وتونهوفر W.D. Thonhofer ومرممى الأحجار بلودت M. Bloedt وكايزر E. Kaiser ووينرويتر G. Weinreuter والرسام ليجده W.-G. Legde وكافة عمال الحفائر المصريين المهرة القادمين من قفط ممثلاً لهم الريس كامل صديق والريس أمير كامل.

وفى النهاية نود أن نبرز أن جزءاً هاماً من عملنا فى إلفنتين كان منذ البداية توضيح نتائج الحفائر، ليس فقط بالنشر العلمى ولكن أيضاً عن طريق ترميم المكتشفات وإعادة البناء الجزئية لبعض المنشآت بحيث يستطيع الزائر المهتم بالموقع أن يلمس نتائج الحفائر. ولم يكن ذلك ليحدث إلا بالتدعيم المادى لمشروعاتنا بواسطة الجهات الحكومية والمؤسسات العامة والشركات الخاصة. ونتوجه فى هذا المقام بوافر الشكر والعرفان للجهات التالية:

- وزارة الخارجية لجمهورية ألمانيا الإتحادية لتقديمها الدعم المادى لترميم مقصورة حقايب وإقامة متحف الحفائر وإعداد الموقع الأثرى لإستقبال السائحين بإعتبارها مشروعات نموذجية للعمل المشترك بين ألمانيا ومصر.

- وزارة البحث العلمى والتكنولوجيا الألمانية لتمويلها دراسة مستفيضة حول أسس ترميم الحجر الجيرى المستخدم فى الآثار المصرية القديمة، والتى لم يكن من المستطاع بدونها إعادة بناء معبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ١٢.

- مؤسسة البنك التجارى الألمانى لتحملها لجزءاً كبيراً من تكاليف إعادة بناء معبد ساتت الذى يرجع لعصرالأسرة ١٨.

- مؤسسة إرنست فون زيمنس لتمويلها إعادة بناء معبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ١١.

- مؤسسة فرتز وإفا روتسن لتمويلها ترميم رواق أعمدة الملك أمازيس الذى يتقدم معبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ١٨.

- مؤسسة جردا - هنكل لدعمها مشروع دراسة عن المعبد J.

- جمعية تيودور فيجنت لتمويلها إقامة مخزن كبير لتخزين الأحجار المنقوشة وتزويد المتحف بدواليب العرض الزجاجية ووسائل الإضاءة.

- شركات بوش ودايملر بنز وأى بى إم ولورنس لإمدادهم لنا بمعدات البناء الثقيلة وتحملهم لنفقات تشغيل تلك المعدات.

وقد قام كركلر A. Krekeler بتصميم متحف الحفائر. وتولت شركة الحبشى للمقاولات بالقاهرة تنفيذ بناء المتحف وديكوراته ولوازمه الداخلية. وقد شارك بصفة رئيسية فى مسئولية اختيار وتنسيق القطع الأثرية المعروضة كل من نبى I. Nebe وإسمان G. Essmann، كما كان لفون بيلجريم C.v. Pilgrim الدور الأكبر فى إعداد الوصف والشرح لمقتنيات المتحف لهذا الدليل. أما تمويل تنفيذ النموذج الذى يوضح تخطيط مدينة إلفنتين الأثرية فى العصرين البطلمى والرومانى فيرجع الفضل فيه للزوجين بستالوتسى A. & R. Pestalozzi .

ڤرنر كايزر

Werner Kaiser

مدير الحفائر

نبذة عن تاريخ مدينة إلفنتين

تبقّى من مدينة إلفنتين الأثرية اليوم تل من الأطلال يصل ارتفاعه إلى ١٢ متراً يشغل معظم مساحة الجزء الجنوبى من الجزيرة، التى تقع فى مواجهة مدينة أسوان (أشكال ١ - ٤). وهذا الوضع الحالى هو نتاج سلسلة طويلة من التطورات. فقد كان الجزء الجنوبى من الجزيرة فى العصر العتيق (حوالى ٣٠٠٠ ق.م) عبارة عن عدد من الصخور الجرانيتية الضخمة، لم يكن يظهر منها فوق سطح الماء وقت فيضان النيل فى الصيف سوى أثنين.

وقد نشأت المدينة فى البداية على الصخرة الجرانيتية الشرقية من الصخرتين سالفتى الذكر (الشكل رقم ١). وترجع أقدم بقايا لتجمعات سكنية من عصور ما قبل التاريخ يمكن تبينها لعصر نقادة الوسيط (حوالى ٣٥٠٠ ق.م) كما يمكن تتبع معابد الإلهة ساتت "سيدة إلفنتين" على الأقل منذ عصر نقادة المتأخر (حوالى ٢٣٠٠ ق.م)، عندما كان المعبد لا يزيد عن كوخ بسيط من الطوب اللبن يقع بين ثلاثة صخور جرانيتية عالية. ولكن ليس من الواضح ما إذا كان سكان التجمعات السكنية المبكرة من النوبيين المتمصرين بحيث كانت تجمعاتهم السكنية فى ذلك الوقت تصل شمالاً إلى ما بعد الجندل الأول، أو أن إلفنتين منذ البداية كانت نقطة حدودية مصرية متقدّمة.

وبصرف النظر عن هذا فمن المرجح أن إلفنتين منذ ذلك الزمن المبكر كانت لها أهميتها كمركز تجارى يشرف على التجارة مع الجنوب وذلك لموقعها شمال منطقة الجنادل التى تصعب فيها الملاحة النهرية. ولعل فى الأسم التاريخى "آبو" الذى يمكن أن يترجم بكلمة "فيل" أو "عاج (سن الفيل)" ما يشير إلى أكثر السلع الجنوبية جذباً للمصرى القديم. والمرسى الأساسى كان غالباً فى الخليج الذى تحميه الصخور والذى يقع فى شمال الجزيرة (الصخرة) الشرقية وهو نفس الخليج الذى ترسو فيه حالياً المعدية التى تأتى من أسوان والمراكب الشراعية لأهل الجزيرة.

ومع توحيد قطرى مصر الوجه البحرى والوجه القبلى وقيام الدولة الموحدة الفتية (حوالى ٣٠٠٠ ق.م) أضيف إلى أهمية إلفنتين كمركز تجارى أهميتها كمركز للإشراف على منطقة الحدود الجنوبية ثم ازداد الإقبال على جلب الأحجار الصلبة من المنطقة وخاصة الجرانيت الذى كان يحمل على السفن من هناك ليتم إرساله إلى جميع أنحاء مصر.

أثناء الأسرة الأولى (حوالى ٣٠٠٠/٢٩٥٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م) أقيمت فى أعلى نقطة على شاطئ الجزيرة الشرقية تحصينات بها برج حراسة يميزها (شكل رقم ١)، وكانت بها حامية تتكون من رجال أغراب عن المنطقة أى بالتأكيد من أهل شمال مصر. بعد فترة وجيزة تم إحاطة التجمعات السكانية

أيضاً بسور محصّن من الطوب اللبن يضم الجزء الجنوبى للجزيرة الشرقية بالكامل (شكل رقم ١). أما المساحات الخالية المتبقية فيبدو أنها تُرِكَت لاستيعاب الزيادة المنتظرة فى السكان والعمران نتيجة هجر أهل التجمعات السكانية الصغيرة فى المنطقة لمنازلهم ونزوحهم إلى إلفنتين وكذلك النازحين من الشمال. ومع بداية الأسرة الثانية حوالى (٢٨٠٠ - ٢٦٥٠ ق.م) تم توسيع التحصينات لتشمل الجزيرة بالكامل وهكذا وصلت مدينة إلفنتين إلى مساحتها التى استمرت عليها خلال عصر الدولة القديمة أي لمدة الـ ٦٠٠ أو ٧٠٠ عام التالية. (الشكل رقم ١) كما أخذت قلعة الأسرة الأولى فى الإندثار نتيجة لهدم معظم جدرانها وزحف العمران عليها. وتأخذ مدينة إلفنتين طابع المدينة المحصّنة وترتبط كتابة اسم إلفنتين فى المصادر المصرية حتى الدولة الوسطى بالعلامة الهيروغليفية الدالة على "القلعة".

وطبقاً لطرز البناء وما عثر عليه من مخلفات وأدوات أثناء الحفائر فى المدينة يمكن التفرقة بين مبانٍ إدراية وأحياء سكنية وورش للحرف المختلفة.

ثم أقيمت على الجزيرة الغربية قرب نهاية الأسرة الثالثة (حوالى ٢٦٥٠ - ٢٦٠٠ ق.م) منشأة كبرى تبقى منها على وجه الخصوص هرم مدرج صغير (شكل رقم ١) وجد مثله فى عدد من المدن الكبرى فى مصر العليا والوسطى من نفس العصر. ومثلها مثل قلعة الأسرة الأولى يبدو أن هذه المنشأة كانت أحد مراكز السلطة المركزية للدولة وكان دورها هو جمع الضرائب والمكوس العينية وتوزيع الرواتب والمستحقات العينية لأهل المنطقة وكان الهرم يمثل التواجد الرمزى للملك وربما ارتبطت به طقوس لتبجيل تمثال للملك (أو التعبد له؟). ولكن هذه المنشأة لم تعمر طويلاً، ففى أواخر الأسرة الرابعة (حوالى ٢٦٠٠ - ٢٤٥٠ ق.م) أقيمت مكانها ورش للحرفيين، ومنذ الأسرة الخامسة (حوالى ٢٤٥٠ ـ ٢٣٠٠ ق.م) طغت جبانة المدينة على المكان (شكل رقم ١) وبالنسبة لمعبد إلهة المدينة ساتت فقد تم تجديده أكثر من مرة خلال عصر الدولة القديمة ولكنه ظل دائماً فى نفس الموقع ولم يزد عن كونه كوخ بسيط من الطوب اللبن يتقدمه فناء (شكل رقم ٥).

وقد عُثِر على أعداد كبيرة من القرابين المقدمة من الملوك أو الأفراد أثناء العصر العتيق والدولة القديمة، ومنها ناووس من الجرانيت ليوضع فيه تمثال الإلهة أهداه الملك بيبى الأول فى أوائل الأسرة السادسة (حوالى ٢٣٠٠ - ٢١٥٠ ق.م) للمعبد بعد أن قام بتجديده.

وتدل النقوش على أحد الصخور الجانبية فى المعبد على زيارة ملوك آخرين من الأسرة السادسة لإلفنتين ومعبدها، الذى يبدو أنه وُجِدَ فيه منذ ذلك الوقت على الأكثر إلى جانب عبادة ساتت أيضاً مكان للتعبد للإلهه خنوم برأس الكبش إله منطقة الجنادل.



١ : ٤٠٠٠

شكل ١ : إلفنتين فى العصر العتيق والدولة القديمة وعصر اللامركزية الأول (حوالى ٣٠٠٠ ـ ٢٠٥٠ ق.م.)

١ معبد ساتت
٢ الحصن
٣ التوسعات الشمالية الشرقية للمدينة
٤ قصر الحاكم
٥ المنخفض الذى تم ردمه (السد)

٦ الهرم
٧ الجبانة
٨ المبانى الملكية
M موقع المتحف
V موقع القرية الحديثة

يبدو أن انهيار السلطة المركزية فى عصر اللامركزية الأول (حوالى ٢١٥٠ - ٢٠٤٠ ق.م) قد رفع من مكانة وأهمية إلفنتين فى مصر العليا (الوجه القبلى). وقد قام ملوك الأسرة ١١ الأوائل الذين اقتصرت سلطتهم على الصعيد وكانت عاصمتهم طيبة (الأقصر حالياً)، بتجديد معبد ساتت أكثر من مرة، مستخدمين فيه لأول مرة الأحجار الصلبة على نطاق واسع (شكل رقم ٥). أما الملك منتوحتب الثانى نب حبت رع (حوالى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) الذى نجح فى توحيد وجهى مصر ثانية، فقد أقام بناءاً جديداً للمعبد ألحق به فناء يوجد فيه حوض كبير للاحتفال بقدوم فيضان النيل (شكل رقم ٥) الذى اعتقد المصرى القديم أنه يبدأ من إلفنتين.

وقد أخذ عمران المدينة يتسع ويتعدى التحصينات القديمة منذ نهاية الدولة القديمة وذلك بعد أن بدأ ردم المنخفض الذى كان يفصل بين الجزيرة الشرقية والجزيرة الغربية. ويزداد هذا الزحف العمرانى مع عودة السلطة المركزية القوية بعد إعادة توحيد البلاد بواسطة منتوحتب الثانى نب حبت رع ويستمر فى بدايات الأسرة ١٢ (حوالى ١٩٩٠ - ١٧٨٥ق. م) (شكل رقم ٢). ويتوغل سنوسرت الأول حتى الجندل الثانى ويضم إلى مصر النوبة السفلى وهكذا تفقد إلفنتين لمدة عدة قرون تالية دورها كمدينة حدودية، ولكن تزداد أهميتها كمركز إدارى وتجارى يشرف على النشاط التجارى عبر الجندل الأول إلى الجنوب.

ويأمر سنوسرت الأول بهدم معبد ساتت الذى لم يكن قد مر عليه مائة عام ويقيم مكانه بناءاً جديداً للمعبد من الحجر الجيرى المزيّن بسخاء ويلحق بالمعبد فناء إحتفالات ليحتفل فيه أهل المدينة بعيد قدوم الفيضان (الشكلان ٥ و ١١) فى نفس ذلك الوقت على الأكثر حصل إله منطقة الجنادل خنوم لأول مرة على معبد مستقل على مستوى أرضى مرتفع فى وسط المدينة. كما أن هناك معبد من نوع فريد كان قد أقيم فى الأسرة ١١ شمال غربى معبد ساتت، لتبجيل أحد حكام إلفنتين المسمى حقايب، الذى يبدو أنه أثبت نفسه بشدة فى الفترة العصيبة التى واكبت إنهيار الدولة القديمة حتى إنه أصبح بعد وفاته الولى المبجّل للمدينة. ومقصورته التى بدأت بشكل متواضع، جددت للمرة الأولى فى الأسرة ١١، ثم مرة ثانية فى بداية الأسرة ١٢ ومنذ ذلك الحين ظل حكام إلفنتين لعدة قرون تالية يقيمون فى رحاب تلك المقصورة مقاصير تذكارية بالإضافة إلى مقابرهم الصخرية فى منطقة قبة الهواء ، كما قام عدد من كبار الموظفين بوضع لوحات وتماثيل فى رحاب مقصورة حقايب (شكل رقم ٢).

وقد أدى انهيار السلطة المركزية المصرية للمرة الثانية فيما يسمى بعصر اللامركزية الثانى (حوالى ١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م) إلى إعادة الحدود المصرية الجنوبية لبعض الوقت إلى إلفنتين، قبل أن يقوم ملوك الأسرة ١٨ الأوائل (حوالى ١٥٥٠ - ١٣٠٠ ق.م) بإعادة فتح النوبة والوصول إلى ما بعد الجندل الرابع. وتبدأ فترة إزدهار جديدة لإلفنتين وتتوسّع المدينة مرة ثانية، ولكن امتداد هذا التوسع تحت القرية الحديثة ومتحف الجزيرة يمنع التحديد الدقيق لحدود هذا التوسع (شكل رقم ٣). ويقوم كل



شكل ٢ : إلفنتين فى الدولة الوسطى وعصر اللامركزية الثانى (حوالى ٢٠٥٠ ـ ١٥٥٠ ق.م)

١ معبد ساتت
٢ فناء الإحتفالات
٣ مبنى تبجيل حقاإيب
٤ معبد خنوم (الموقع المقترح)
٥ الأحياء السكنية
٦ بقايا الهرم
٧ الجبانة
M موقع المتحف
V موقع القرية الحديثة

حتشبسوت وتحتمس الثالث (حوالى ١٤٩٠ - ١٤٤٠ ق.م) بإنشاء معابد جديدة أكبر لكل من ساتت وخنوم. ولا يقل معبد الإله خنوم الذى يعبد فى جميع أنحاء مصر عن معبد ساتت فى شئ بل تم توسيعه ثانية فى الأسرة ١٨ ثم بصفة خاصة فى الأسرتين ١٩/ ٢٠ (حوالى ١٣٠٠ - ١٠٢٠ ق.م) وقد قام أمنحتب الثالث (حوالى ١٤٠٠ - ١٣٦٥ ق.م) بإقامة استراحة لموكب الآلهة تقع على طريق المواكب الذى يمتد من المرسى إلى معابد المدينة، ويرتبط إقامة تلك الاستراحة غالباً بتحديد فناء الإحتفال بعيد قدوم فيضان النيل (شكل رقم ٣).

وبصفة عامة تشغل المعابد وملحقاتها تقريباً ثلث المساحة المتبقية حالياً من المدينة (شكل رقم ٣). ولذا لا يُعد ظهور أسم "سونو (سوان، سيينى)"، الذى تحوّل فيما بعد إلى أسوان، فى نصوص الدولة الحديثة مصادفة. حيث أدى ازدحام إلفنتين إلى ظهور تلك المدينة الجديدة على الضفة الشرقية لنهر النيل فى مواجهة جزيرة إلفنتين. ومع ذلك فمن المتوقع أن بناء الڤيلات والمنشآت الاقتصادية استمر فى الزحف على الحدائق شمال المدينة. وقد يؤيد ذلك إقامة الملك رمسيس الثانى إستراحة لمواكب الآلهة خارج المدينة فى الشمال الغربى.

مع بداية عصر اللامركزية الثالث (حوالى ١٠٨٠ - ٧١٠٠ ق.م) تستقل النوبة وتتفجر الصراعات الداخلية فى مصر على السلطة فتسترجع إلفنتين أهميتها، خاصة العسكرية. ولم يعثر فى إلفنتين لملوك هذه الفترة، بل ولملوك الأسرة ٢٥ التى تلتها (حوالى ٧١٠ - ٦٦٤ ق.م) سوى على بعض اللوحات النذرية. ثم بدأ ملوك الأسرة ٢٦ (حوالى ٦٦٤ - ٥٢٥ ق.م) ثانيةً التجديد فى معابد المدينة. فأقيم لمعبد خنوم مقياس للنيل قرب ضفة النهر تطلب إنشاءه مجهودات شاقة (شكل رقم ٣). وقبل نهاية الأسرة باحتلال الفرس لمصر أضاف أحمس (أمازيس) رواق أساطين (دعائم ذات قطر مستدير) أمام معابد ساتت.

أثناء عهد الاحتلال الفارسى الذى يُعد أول سيطرة أجنبية تشمل مصر كلها (٥٢٥ ـ ٤٠٤ ق.م) أخذت إلفنتين طابع القلعة، ليس لمواجهة الأخطار المحتملة من الجنوب فحسب، بل للسيطرة على المصريين أيضاً. يدل على ذلك العناصر التى تشكلت منها الحامية الفارسية فى إلفنتين، التى كانت تتكون جزئياً من أفراد الجالية الأرامية / اليهودية، التى كان لها حتى قبل الاحتلال الفارسى معبد ليهوه فى إلفنتين. ونتيجة لإقامة معبد جديد لخنوم فى الأسرة ٣٠، لم يكد يتبقى شئ من معبد يهوه، وإن كان قد عُثِرَ على بعض البرديات الهامة من هذه الفترة فى خرائب المنازل المجاورة.

ومع تولى آخر الملوك الوطنيين الحكم فى الأسرة ٣٠ تبدأ لإلفنتين مرة أخرى فترة ازدهار طويلة تستمر بعد ذلك تحت السيطرة اليونانية، ثم منذ عام ٣٠ ق.م تحت السيطرة الرومانية. فنجد نختنبو الأول (٣٨٠ - ٣٦٢ ق.م) يضيف إلى معبد الدولة الحديثة الخاص بخنوم. ثم يبدأ خليفته نختنبو الثانى



١ : ٤٠٠٠

شكل ٣ : إلفنتين فى الدولة الحديثة والعصر المتأخر (حوالى ١٥٥٠ ـ ٣٣٢ ق.م)

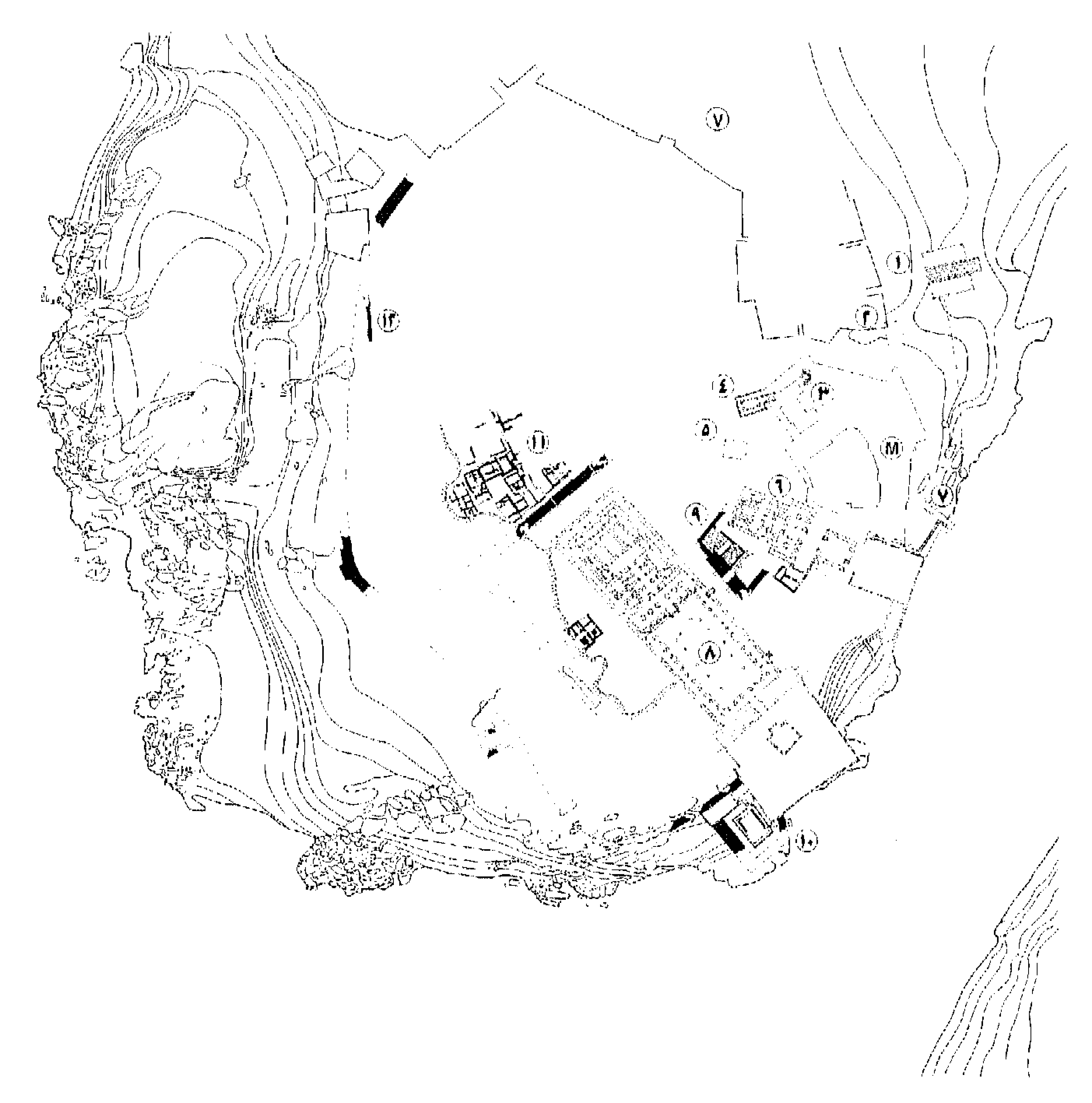
١ معبد ساتت
٢ فناء الإحتفالات : حفر جذور الأشجار
٣ استراحة المركب الإلهية
٤ معبد خنوم
٥ مقياس النيل
٦ الأحياء السكنية : فى الأسرة ١٨
٧ الأحياء السكنية : فى الأسرتين ٢١/٢٠
٨ الأحياء السكنية : فى الأسرة ٢٧
٩ البئر العميقة
M موقع المتحف
V موقع القرية الحديث

(٣٦٠ - ٣٤٢ ق.م) فى إقامة معبد جديد كبير لخنوم مكان السابق لم يتم منه سوى المبنى الرئيسى للمعبد وفناء أمامى صغير. وجاء البطالمة (٣٠٥ - ٣٠ ق.م) ليكملوا البناء خاصة بطليموس السادس وبطليموس الثامن قبل أن يتمه الإمبراطور الرومانى أغسطس بإقامة شرفة كبيرة له على النيل (شكل رقم ٤). أما معبد ساتت الذى بدأه بطليموس السادس (الشكلان رقمى ٤ و٥) فقد أقيمت له أيضاً شرفة علي النيل ومقياس للنيل، إلا أن حجمه أصبح أصغر كثيراً من معبد خنوم، وبالإضافة إلى ذلك فَقَدَ معبد ساتت جزءاً من حرمه، أقيمت فيه جبانة كباش خنوم المقدسة.

وفى العصر الرومانى تم التوصل بين شرفتى معبدى خنوم وساتت بكورنيش مبنى على ضفة النهر يمتد بعد ذلك شمالاً ليضم أيضاً مقياس النيل الخاص بمعبد ساتت ويصل فى النهاية إلى درج كبير عند مرسى المدينة يوصّل بدوره إلى معبد النيل. كما أقيم معبدان أخران لا نستطيع تحديد موقعهما الأصلى الدقيق حتى الآن، إلا أنهما كانا داخل المنطقة المقدسة التى أصبحت تشغل بما يتبعها من منشأت إدارية وإنتاجية ما يزيد عن نصف مساحة المدينة (شكل رقم ٤). وفيما يتعلق بالمنازل السكنية السكنية من تلك الفترة فلم يتبق منها على نطاق واسع سوى آثار لمنازل من الأسرة ٣٠ تدل على عمران كثيف لمنازل من طابقين. أما منازل العصرين البطلمى والرومانى فلم يتبق منها، نتيجة لنشاط السباخين فى إزالة تل الأطلال الأثرى، سوى بقايا بعض الأقبية الفسيحة.

إن تحوّل نصف مدينة إلفنتين شيئاً فشيئاً إلى معابد، يرجع أن معظم الحياة اليومية العادية والنشاط التجارى قد انتقلا فى العصرين البطلمى والرومانى إلى "سونو (سوان، سيينى)" (أسوان حالياً) وعلى ذلك يتضح سبب توارى دور إلفنتين خلف أسوان الحالية بعد إنتصار المسيحية فى بداية القرن الرابع الميلادى. ويبدو أنها فى ذلك الوقت فقدت أيضاً أهميتها كقلعة. وعندما أُرسِلت فرقة رومانية شرقية فى مطلع القرن الخامس الميلادى إلى الجزيرة لتقوية حرس الحدود أمام غارات قبائل البليمى والبدو، حوّلوا الفناء الأمامى الكبير لمعبد خنوم إلى معسكر محصّن.

ومن المرجح أن استغلال المعابد كمحاجر قد بدأ فى تلك الفترة، ونتيجة لذلك لم يتبق من معابد إلفنتين الرئيسية الكبيرة بصفة عامة سوى الأساسات فى مواقعها الأصلية، بينما اختفت بعض المعابد والمقاصير الصغيرة تماماً. وتذكر المصادر العربية التى ترجع للعصور الوسطى أن إلفنتين كان بها دير وكنيستين، وقد تبقّت آثار كنيسة صغيرة من بداية القرن السادس الميلادى فى فناء معبد خنوم وكذلك عناصر معمارية متناثرة من بازيليكا كبيرة (طراز من الكنائس) كانت تقع غالباً طبقاً لمواقع العثور على عناصرها المعمارية فى المنطقة السكنية من المدينة. ولكن مع انتشار الإسلام فى مصر لم تعمر تلك المرحلة المسيحية طويلاً. ونتيجة لزوال الطبقات العليا من تل الأطلال الأثرى لا يمكن أن نحدد بدقة زمن نهاية العمران فى مدينة إلفنتين القديمة. ومع ذلك فلن تبعد عن القرنين التاسع أو العاشر الميلادى.



١ : ٤٠٠٠

شكل ٤ : إلفنتين فى العصرين البطلمى والرومانى (٣٣٢ ق.م ـ ٢٥٠ م)

١ الدرّج الكبير
٢ المعبد Y (الموقع المقترح)
٣ البئر العميقة
٤ استراحة المركب الإلهية
٥ المعبد X (الموقع المقترح)
٦ معبد ساتت
٧ مقياس النيل
٨ معبد خنوم
٩ جبانة الكباش المقدسة
١٠ مقياس النيل
١١ الأحياء السكنية : فى الأسرة ٣٠
١٢ الورش الحرفية
M موقع المتحف
V موقع القرية الحديثة

مسار الزيارة المقترح لزائر المدينة الأثرية

المسار المقترح لزيارة المدينة الأثرية (شكل رقم ١٢) يمتد لمسافة حوالى ٣ ، ١ كم يتخلله ٢٨ لوحة إرشادية توضح للزائر الموقع الذى يتواجد فيه وتسمية الأثر الذى يتواجد أمامه. وخارج حدود المدينة الأثرية توجد فى الجنوب اللوحتان الإرشاديتان ١٥ و ١٦ (معبد صغير من كلابشة وبوابة أجوالة Ajuala) وفى الشمال توجد اللوحة رقم ٢٨ (الدرج الرومانى).

المعبد البطلمى الرومانى المكرّس للإلهة ساتت

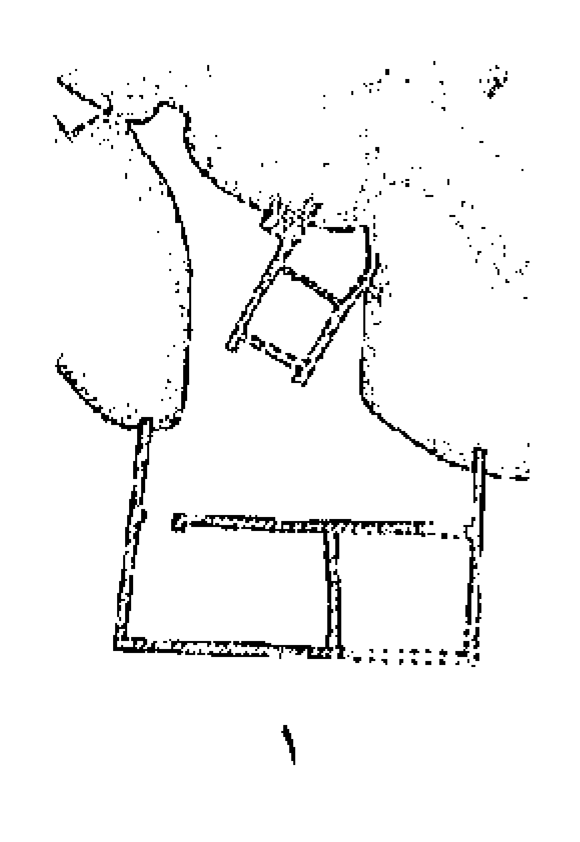
(اللوحة الإرشادية رقم ١)

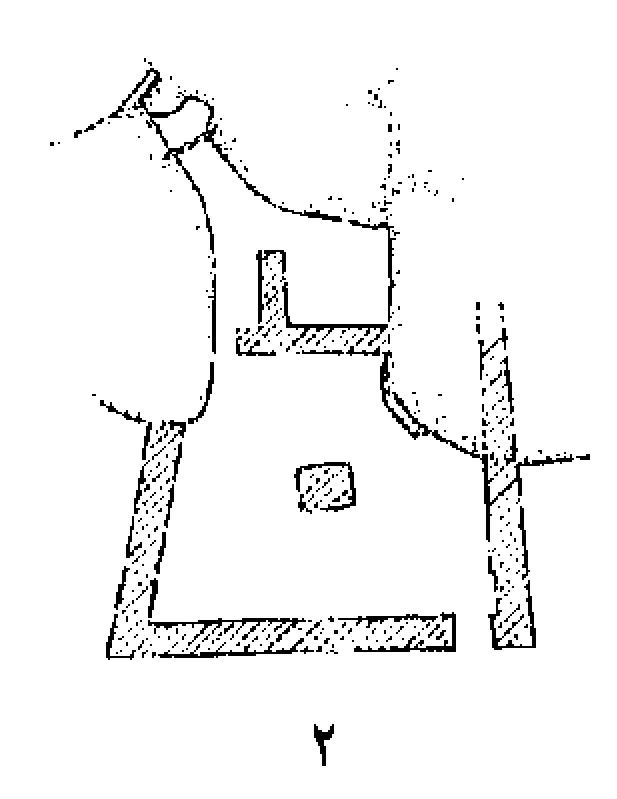
يدخل الزائر إلى المدينة الأثرية من خلال بوابة تقع فى الجانب الجنوبى الغربى لحديقة متحف جزيرة أسوان، حيث توجد اللوحة الإرشادية رقم ١ فى الفناء الأمامى لآخر معبد أقيم هنا لإلهة المدينة ساتت فى العصر البطلمى. ومثله مثل معظم المعابد التى أقيمت فى العصور المتأخرة فقد استُغلَ فيما بعد كمحجر، حتى أنه لم يكن متبق منه عند بداية الدراسات العلمية لمنطقة إلفنتين فى عام ١٩٠٦ م سوى أجزاء من أساساته التى يبلغ سمكها ٣,٥٠ متر والتى تحتوى على سراديب. إلا أن هذا التدمير الشديد كشف أن الطبقات السفلى من أساسات المعبد تتكون إلى حد كبير من أحجار أبنية أكثر قدماً هدمت واستُغلّت أحجارها فى تلك الأساسات. وكان من الممكن رؤية عناصر معمارية لمعبد يرجع للأسرة ١٨ وأخر يرجع للأسرة ١٢ وكانت كثيرة العدد بحيث بدا من الممكن إعادة تشييد تلك الأبنية بواسطة تلك العناصر، على الأقل جزئياً.

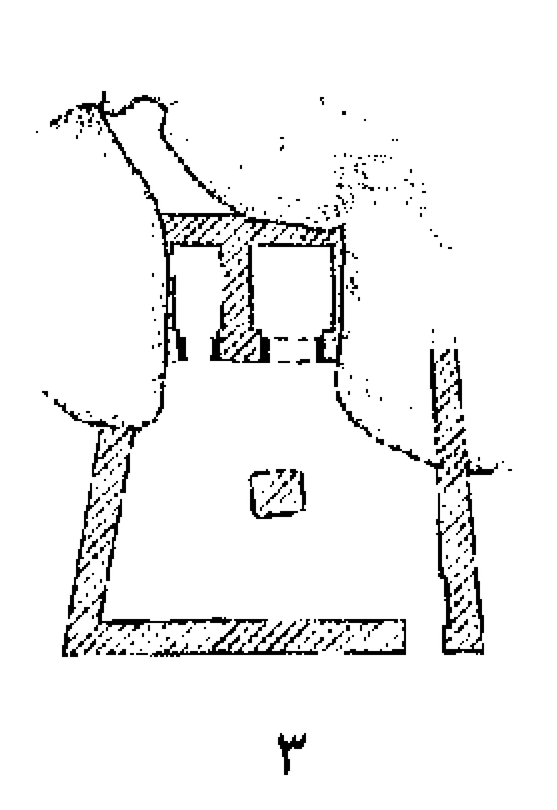
لذا فقد تم فى الفترة ما بين ١٩٦٩ و١٩٧٣ م فك الأساسات بحرص وترتيب الأحجار والعناصر المعمارية طبقاً لمصدرها ثم تخزينها. وقد كشفت الحفائر فى الموقع نفسه بعد إزالة الأساسات عن تفاصيل التاريخ القديم لهذه البقعة المقدسة منذ بداياتها الأولى فى عصور ما قبل التاريخ حوالى ٣٢٠٠/ ٣١٠٠ ق.م بوضوح غير متوقع (شكل رقم ٥).

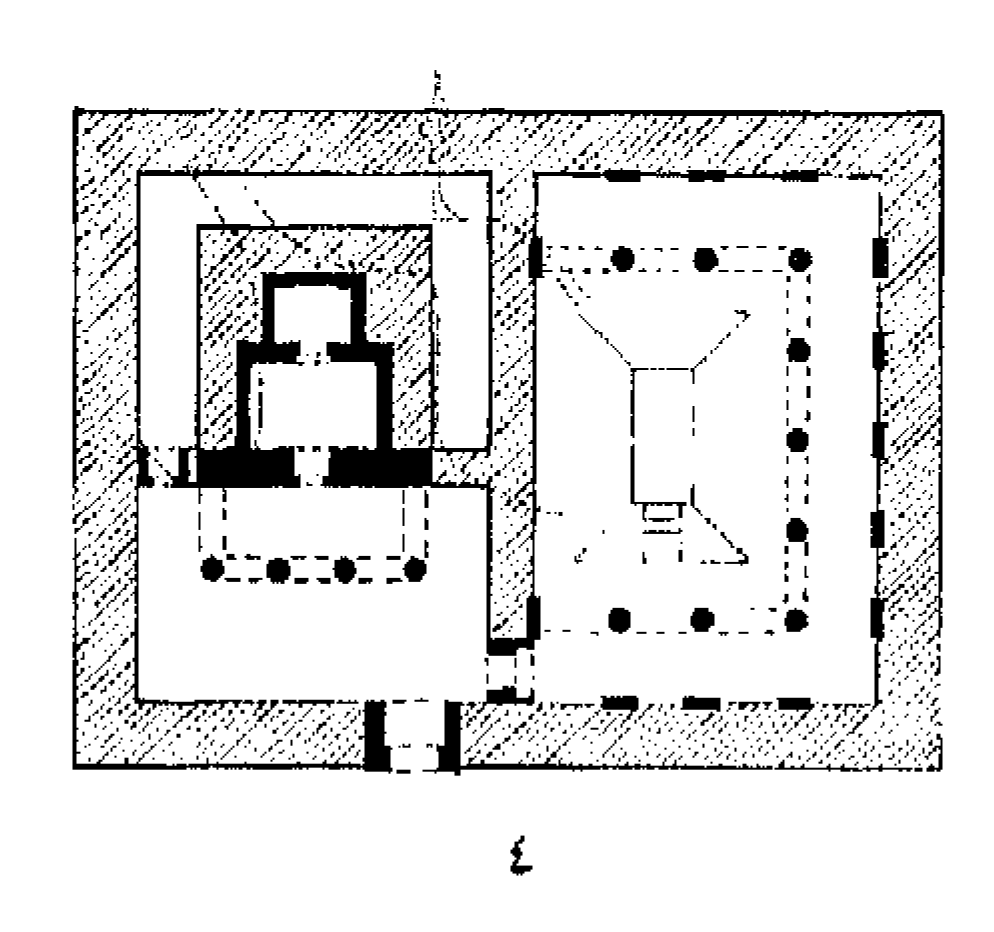
شكل ٥ : تطور معبد الإلهة ساتت (٣٢٠٠ ـ ٢١٠٠ ق.م : مراحل تطور مختارة)

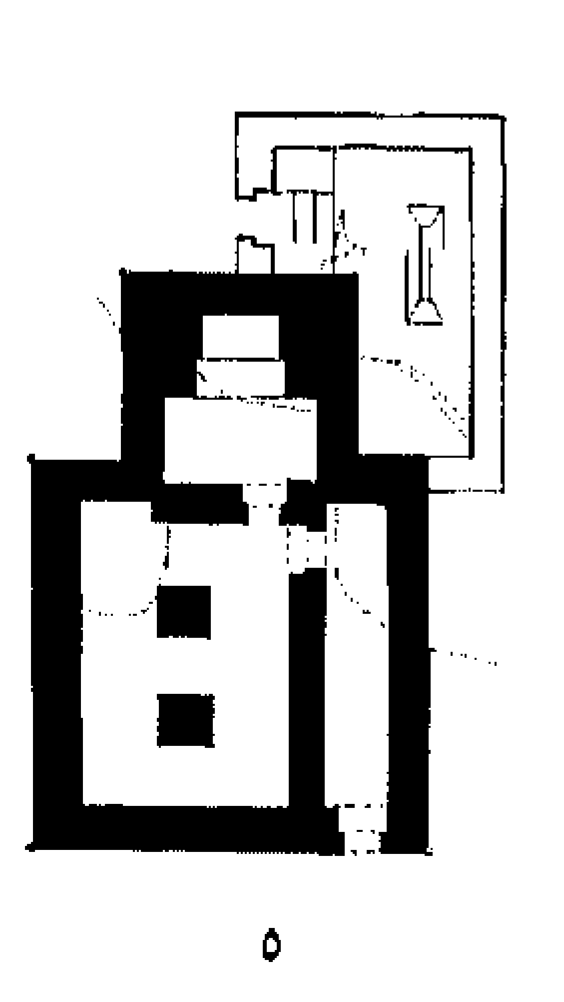
١ معبد العصر العتيق (حوالى ٢٨٠٠ ق.م)
٢ بناء جديد للمعبد فى بداية الأسرة ٦ (حوالى ٢٢٥٠ ق.م)
٣ توسيع المعبد فى عهد إنتف الثانى (حوالى ٢١٠٠ ق.م)
٤ بناء جديد للمعبد يرجع لعهد الملك منتوحتب الثانى (حوالى ٢٠٢٥ ق.م)
٥ بناء جديد للمعبد يرجع لعهد الملك سنوسرت الأول (حوالى ١٩٥٠ ق.م)
٦ بناء جديد للمعبد يرجع لعهد الملكة حتشبسوت (حوالى ١٤٨٠ ق.م)
٧ بناء جديد للمعبد يرجع لعهدى الملكين بطليموس السادس والثامن (حوالى ١٥٠ ق.م)

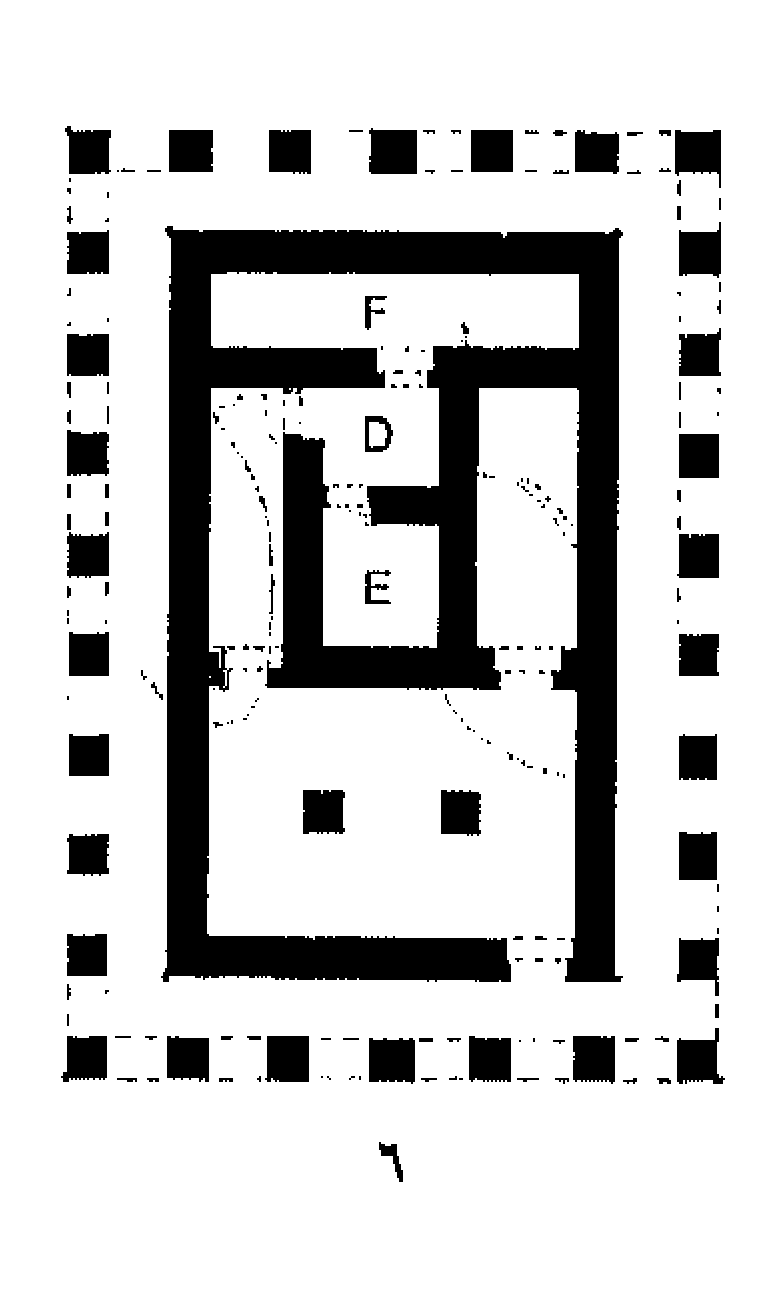

١


٢

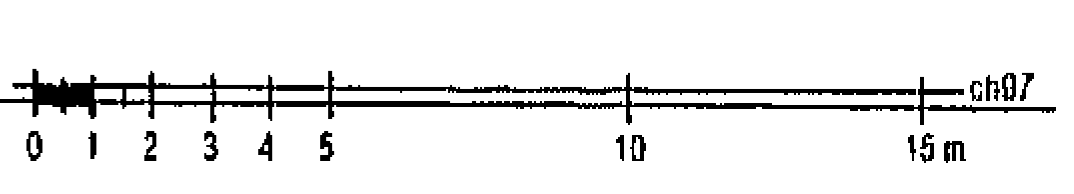

٣

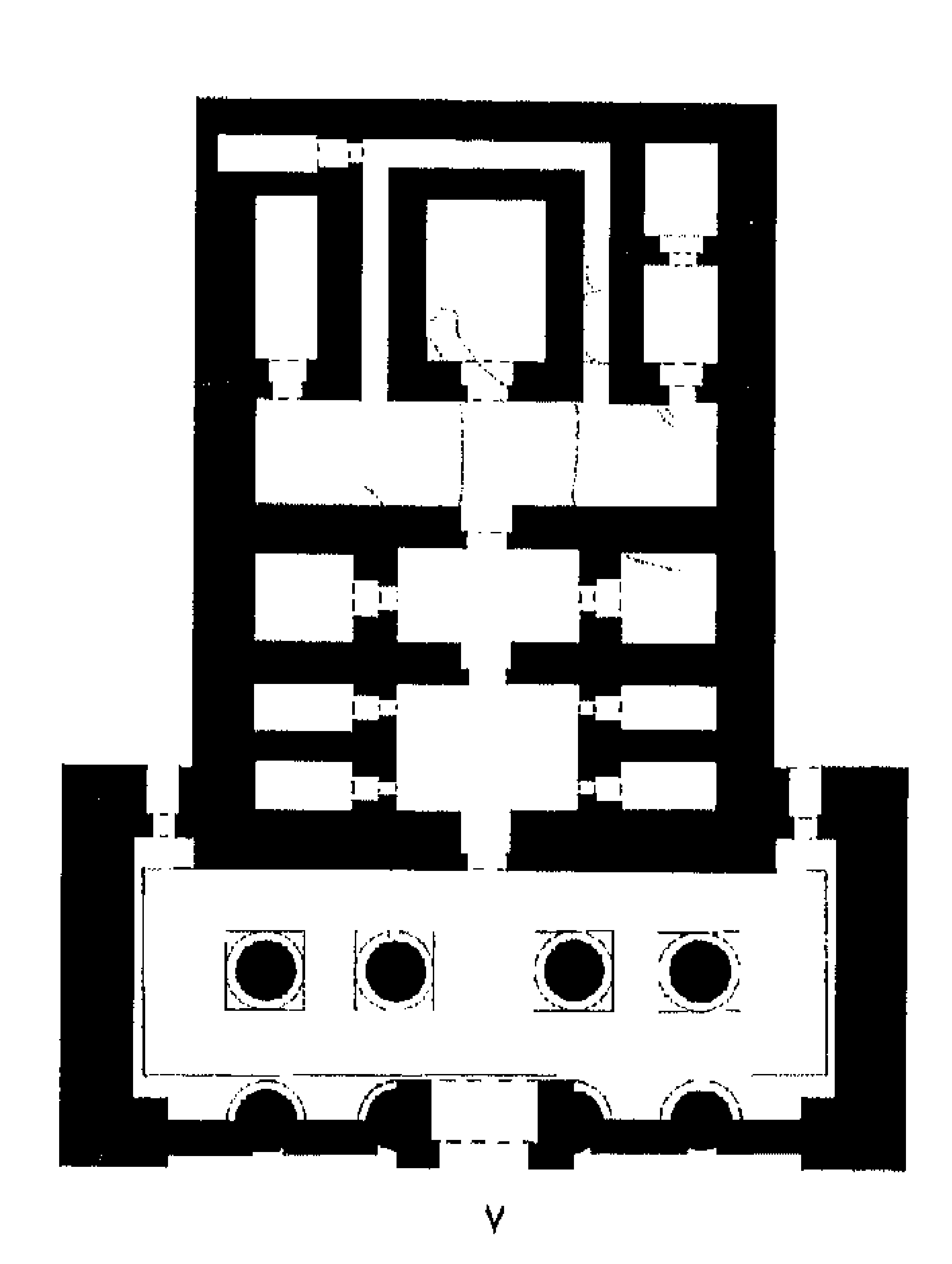

٤


٥



٦




٧

وقد نتج عن ذلك عرض شامل لمراحل تطور معبد مصرى قديم بشكل غير مسبوق فى وادى النيل. وحتى يكون هذا الوضع الفريد واضحاً للمشاهد فقد أقيمت بقايا معبد الأسرة السادسة (لوحة إرشادية رقم ٣) وأقيم أعلاه على أرضية خرسانية بقايا معبد الأسرة ١٨ (لوحة إرشادية رقم ٢) فى مواقعيهما الأصلية. أما أبنية الدولة الوسطى التى تقع زمنياً ما بين الأسرة السادسة التى ترجع للدولة القديمة والأسرة ١٨ التى ترجع للدولة الحديثة، والتى كانت مقامة أصلاً تقريباً على نفس مستوى أرضية معبد الأسرة ١٨، فقد كان من المستحيل إتباع الأسلوب السابق فى إعادة تشييدها ولذا يتم إعادة تشييد بقاياها خارج حرم المعبد عند اللوحات الإرشادية أرقام ٢٢ إلى ٢٦.

ويشد إنتباه الزائر على وجه الخصوص المعبد الذى أقامته الملكة حتشبسوت فى الأسرة ١٨ حوالى ١٤٨٠ ق. م، وصفا الأساطين التى تشكل الرواق الذى يؤدى إلى المعبد والتى أضافها الملك أحمس (أمازيس) من ملوك الأسرة ٢٦ بعد حوالى ٩٠٠ عام من إقامة معبد حتشبسوت، والتى ظلت بدورها قائمة لمدة أربعمائة عام حتي أمر كل من بطليموس السادس ثم بطليموس الثامن بدءاً من حوالى عام ١٥٠ ق.م بهدم المعبد ليقيموا على أرضية أكثر ارتفاعاً معبداً جديداً أكبر كثيراً مما سبق.

وتعطى بقايا الأساسات التى أعيد تركيبها إلى اليسار من معبد حتشبسوت، وتلك التى توجد أمام مدخل المنطقة الأثرية مباشرة، وأخرى التى تحيط برواق أساطين أمازيس فكرة، عن مساحة المعبد البطلمى. وهنا يجب ملاحظة أن بقايا الأساسات التى أعيد تركيبها فى الجهة الجنوبية والتى تشبه الحوائط حالياً تحتوى على كتل حجرية حديثة مطلية بالملاط تحل محل الكتل الحجرية التى ترجع للأسرة ١٨ والتى كان قد تم إعادة استخدامها قديماً فى أساسات المعبد البطلمى.

كما تتضح ضخامة المعبد البطلمى كذلك من عتب بوابة المعبد الرئيسية، الذى أعيد تجميع أجزائه وهو معروض حالياً فى الجانب الجنوبى الشرقى لأساسات المعبد، وكان قد تم العثور عليه محطماً مع أحزاء من كتل جرانيتية أخرى من واجهة المعبد فى أنقاضه (تخطيط المعبد شكل ٥). وأمام العتب نجد بقايا أعمدة المعبد وميزاب على هيئة رأس الأسد.

ويتبع المعبد البطلمى شرفة مقامة جهة النهر ويوجد بينها وبين المعبد بناء ذا أعمدة (غالباً كشك) لايزال المدماك السفلى الأول من الجزء الجنوبى لواجهته الغربية قائماً بمحاذاة حديقة المتحف. وأعتاب المدخلين الغربى والشرقى لهذا البناء التى وجدت محطمة معروضة حالياً على الجانب الغربى للطريق المؤدى إلى اللوحة الإرشادية رقم ٤. ويلاحظ أن كل عتب يتكون من أربعة كتل جرانيت طويلة كانت تركّب مع بعضها البعض. أما الجدران التى تفصل ذلك البناء عن الفناء الأمامى للمعبد فهى ترجع للعصر الرومانى.

معبد الإلهة ساتت الذى يرجع للأسرة ١٨

(اللوحة الإرشادية رقم ٢)

فى الأسرة ١٨ حلت فى الكثير من مدن مصر معابد جديدة محل أبنية أقدم. ويعد معبد الإلهة ساتت الذى أقامته الملكة حتشبسوت أحد النماذج القليلة لتلك المعابد، التى حُفظَت لنا على الأقل جزئياً حتى يومنا هذا، حتى وإن كان ذلك فى حالة مدينة إلفنتين فى صورة عدد وفير من الكتل الحجرية المعاد استخدامها فى أبنية أحدث. فقد نتج عن فك أساسات المعبد البطلمى العثور على ٥٠٠ كتلة حجرية وأجزاء كبيرة من كتل أخرى سمحت بتخيل الشكل الأصلى للمعبد وخاصة تسلسل المناظر بالنسبة لنقوش المعبد المتبقية.

تم إعادة تشييد المعبد (لاعتبارات هندسية، فإن الأرضية الخرسانية الحاملة للمعبد تقع تحت مستوى الأرض الأصلى الذى كان المعبد مقاماً عليه بمقدار حوالى متر واحد) حتى أعلى عنصر معمارى تم العثور عليه. وقد استُعِين فى إعادة البناء بمستنسخات ٢٠ كتلة كانت قد نُقِلت فى مطلع القرن العشرين إلى متحف اللوفر بباريس.

ويعد ممر الأعمدة بالمعبد أمر تقليدى بالنسبة لعمارة الأسرة ١٨، ولكن كون هذا الممر يحيط بالجهة الخلفية للمعبد، فإن ذلك يعد شيئاً فريداً بالنسبة لهذه الفترة. ويجب على الزائر حتى يستطيع تخيّل المنظر الأصلى للمعبد، أن يضع فى اعتباره أن البناء كان محاطاً من ثلاث جهات بسور مرتفع من الطوب اللبن، لا يفصل بينه وبين ممر الأعمدة سوى ممر ضيق، وأن مساحة الفناء الأمامى للمعبد لم تكن تتعدى حوالى ٢٠ × ٨٠ متراً.

وبعد حوالى ٩٠٠ عام، أضاف الملك أحمس (أمازيس) (أسرة ٢٦) فى حوالى ٥٥٠ ق.م، توسعات كبيرة فى اتجاه النهر، تبقى منها على وجه الخصوص رواق يقوم فيه صفان من أساطين الحجر الجيرى كانت بعض قواعدها لا تزال قائمة فى موقعها الأصلى أسفل الفناء الأمامى الرومانى، وأخرى وجدت فى أساسات المعبد البطلمى، ويوجد عمودان منها فى المتحف المصرى بالقاهرة. ويتفق محور الرواق مع مدخل المعبد الذى يقع بدوره إلى اليمين من المحور الأوسط للمعبد وهى ظاهرة عجيبة يمكن تتبعها أيضاً فى الأبنية السابقة التى ترجع للدولة الوسطى (اللوحات الإرشادية أرقام ٢٣ إلى ٢٥) بل وفى تلك التى تسبقها زمنياً وهى التى ترجع للدولة القديمة (لوحة إرشادية رقم ٣) ولعل السبب فى ذلك هو وجود مكان معيّن على ضفة النهر كانت الإلهة تنتقل إليه منذ القدم فى موكب بهيج يسلك طريقاً يتجه إلى هذا المكان أقيم مكانه فيما بعد هذا الرواق.

وعند الدخول إلى المبنى الرئيسى للمعبد يجد الزائر نفسه داخل صالة واسعة كان سقفها محمولاً بواسطة عمودين تيجانهما حتحورية. وفى الجدار الخلفى للصالة يوجد بابان: الأيمن يؤدى إلى مقصورة مكرّسة لعبادة الإله الأكبر للدولة آمون، أما الباب الأيسر فيؤدى إلى باقى حجرات المعبد.

وقد اكتملت نقوش الصالة فى عهد الملكة حتشبسوت ومعظمها تُظهر الملكة أثناء تأدية طقوس خاصة أمام الإلهة ساتت التى يسهل التعرف عليها لارتدائها التاج العالى المزيّن بقرنى ظبى، وأمام الإلهة عنقت إلهة جزيرة سهيل التى تقع جهة الجنوب وكانت تُعبد بشكل ثانوى في هذا المعبد وتتميز بتاجها المكوّن من حزمة من نبات الحلفا، وكذلك أمام الإله آمون والإله خنوم برأس الكبش.

وعند انفراد الملك تحتمس الثالث بالحكم عمل على أن يحل فى جميع النقوش محل الملكة حتشبسوت ونظراً لأن الملكة حتشبسوت تُمثّل بهيئة الرجال، فكان يكفى بصفة عامة تغيير الأسم والألقاب الملكية فى النصوص المصاحبة عدا فى المناظر التى كان يظهر فيها كل من حتشبسوت وتحتمس الثالث سوياً، فقد تطلبت بعض التعديل فى المناظر. وهناك منظر أصلى (من عهد حتشبسوت) يُظهر الملك تحتمس (عندما كان لا يزال أميراً ووليا ً للعرش) على الجدار الخلفى للصالة، حيث نجد على النصف الأيسر للجدار الإلهة ساتت تصطحب الملكة إلى الإله آمون الجالس على العرش وعلى النصف الأيمن للجدار تصطحب الإلهة عنقت الملك إلى الإله خنوم. كما أمر تحتمس الثالث بتشويه إفريز الزينة العلوى المميز لأبنية حتشبسوت.

ومن الجدير بالملاحظة التباين فى جودة النقوش. ويتضح ذلك عند مقارنة مناظر الوجوه بتفاصيلها الدقيقة على الجانبين الغربى والجنوبى للصالة بتلك الموجودة على الأعمدة وبوجه الملك المصور فى بداية الجدار الشرقى إلى يسار الداخل إلى المعبد مباشرة. ولا يجب أن نغفل عن أن حجرات المعبد كانت تضاء بأشعة الشمس من خلال فتحات ضيقة فى السقف فقط، وبالتالى كانت الإضاءة فى داخل المعبد خافتة. ولا تظهر التفاصيل الدقيقة المليئة بالحيوية للأوجه والأعناق، على سبيل المثال فى منظهر الإلهة ساتت على الحائط الغربى سوى لفترة وجيزة وقت الظهيرة عندما تقع عليها أشعة الشمس بزاوية معيّنة وتلك التفاصيل كانت لا تُرى فى القدم إلا باستخدام المشاعل أو القناديل وتوجيهها بزاوية معيْنة.

ونظراً لضيق باقى حجرات المعبد لا يُسمح للزائر بالدخول إليها وذلك للحفاظ على نقوشها. ولكن يمكن النظر إلى داخل الحجرتين الطوليتين اللتان يوجد مدخليهما فى أقصى يمين وأقصى يسار الجدار الخلفى للصالة. فالبنسبة لمقصورة آمون فى اليمين يعد أهم مناظرها منظر الجدار الغربى (الخلفى) حيث نجد الملكة ممثلة أمام الإله آمون الذى شُوّه فى عصر العمارنة وأعيد نقشه فى عهد الملك سيتى الأول (أسرة ١٩).

والحجرة اليسرى نُقشت كذلك فى عهد حتشبسوت، وتظهر على جداريها الطوليين مناظر تقديم القرابين للإلهة ساتت الجالسة على عرشها، يليها على الجدار الجنوبى الملكة والإله خنوم، وعلى الحائط الخلفى (الغربى) الملكة مع الإلهة عنقت. والمدخل الذى يقع جهة اليمين أمام الحائط الخلفى يؤدى إلى باقى حجرات المعبد، ومن تلك الحجرات الثلاثة (أنظر الشكل رقم ٥) فإن الحجرة E طبقاً لمناظرها كانت قدس أقداس المعبد الذى كان يحتوى على تمثال الإلهة، والحجرة D عبارة عن صالة أمامية صغيرة لقدس الأقداس، بينما كانت الحجرة F هى مخزن المعبد. ولم يتم نقش مناظر تلك الحجرات إلا فى عهد تحتمس الثالث وبصورة مبسّطة عبارة عن نقش غائر ملون فقط باللون الأصفر (أى الذهبى).

ولعل السبب فى الموقع غير المألوف لقدس الأقداس فى وسط المعبد، هو إختيار موقعه على أساس أن يكون بالضبط فوق مكان يقع بين ثلاثة صخور جرانيتية ضخمة كانت تُعبد فيه الإلهة ساتت منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ (لوحة إرشادية رقم ٣). ويتصل بذلك غالباً وجود بئر عمقها أربعة أمتار فى قدس الأقداس.

وقد إكتملت نقوش الأسطح الخارجية لجدران المعبد فى عهد حتشبسوت وهو ما يوضح أن عملية نقش المناظر بدأت بالأسطح الخارجية للمعبد ثم الداخلية، وعلى ذلك لم تنقش مناظر قدس الأقداس إلا فى عهد تحتمس الثالث. ومع ذلك لم يتم نقش مناظر الأعمدة فى عهد حتشبسوت، حيث نُقشت مناظر الجانب الداخلى للأعمدة، والتى تظهر الملك غالباً مع الألهة ساتت، ولكن أحياناً أيضاً مع آلهة آخرى،وكذلك أشرطة الكتابة الرأسية على الجوانب الثلاث الأخرى للأعمدة بأسم تحتمس الثالث.

مناظر الأسطح الخارجية للمعبد تضم إلى جانب مناظر الطقوس التقليدية العامة بعض المناظر المنصبة خصيصاً على إلفنتين وعند التدقيق يلاحظ الآتى:

ـ فى منظر تقديم القرابين الكبير على الجانب الأيمن للجدار الجنوبى نجد الجزء الذى يتوسط تحتمس الثالث (غالباً كان النقش أصلاً يمثل تحتمس الثانى) الجالس على العرش تحت مظلته فى اليمين والإلهة ساتت الجالسة على عرشها أيضاً تحت مظلتها جهة اليسار، منقوش نقشاً غائراً بخلاف باقى المناظر المنقوشة بنقش بارز، فيبدو أن تحتمس الثالث قد أستبدل هنا مناظر حتشبسوت بمناظر جديدة تماماً ويلاحظ أن ساتت تظهر هكذا فى المنظر مرة ثانية خلف الملك مباشرة وهو يقدم القرابين للإله آمون وزوجته الإلهة موت اللذان شوّها فى عصر العمارنة ثم أمر سيتى الأول (أسرة ١٩) بإعادة نقشهما وأضاف أسمه بجوارهما.

- وعلى الجانب الأخر للجدار الجنوبى يوجد منظر مكوّن من ثلاثة صفوف يمثل جزء من الشعائر الدينية الخاصة بإلفنتين: وهو إبحار الإلهة عنقت فى النيل، فنجد فى صف المناظر الأعلى المركب الملكية ومركب الإلهة عنقت وفى الصف الأوسط مراكب صغيرة عليها منشدات المعبد وفى الصف الأسفل مرافقى الموكب على ضفة النيل.

- وهناك منظر أخر من هذا النوع على الجانب الشمالى من الجدار الغربى فيما بين الملك على اليسار والإلهة ساتت على اليمين، وهو يمثل عيد قدوم فيضان النيل فيظهر فى الصفين العلوى والأوسط كهنة المعبد والمنشدات وعازفات الموسيقى عند خروج الإلهة من المعبد وفى الصف الأسفل جهة اليسار كاهنان يقفان فى حوض ماء - وهو منظر سيجده الزائر ثانية فى المعبد الذى يرجع لبواكير الأسرة ١٢ (لوحة إشاردية رقم ٢٥) والذى يسبق بناء معبد حتشبسوت بحوالى ٥٠٠ عام.

ويتيح السير فى ممر الأعمدة المحيط بالمعبد إلقاء النظر على الآثار المحيطة به: ففى الجانب الجنوبى يمكن رؤية الدرج المؤدى إلى معبد الإله خنوم المقام على مستوى أعلى (اللوحات الإرشادية أرقام ٦ و١٢ و١٣) ومداخل أماكن دفن كباش خنوم المقدسة التى سُدت فى القدم بجدران (لوحة إرشادية رقم ١١) وكذلك الركن الجنوبى الغربى لأساسات المعبد البطلمى وتظهر فيه بقايا السراديب، وفى الجانب الغربى يمكن مشاهدة بقايا السور الخارجى المحيط بالمعبد والذى يرجع للدولتين الوسطى والحديثة وكذلك على مستوى أعمق بقايا سور المدينة الذى يرجع للدولة القديمة وهو متعرج ليحتوى صخور الجرانيت الضخمة التى كانت تعترضه زمن إقامته (شكل رقم ١).

ولتوضيح بقايا السور وحمايتها فقد أُضيفت إليها بعضُ المداميك من الطوب اللبن الحديث وتفصل بين الطوب اللبن الأثرى القديم وبين الطوب اللبن الحديث المضاف، طبقة واضحة من كِسَر الفخار وهو الأسلوب الذى أُتُبِعَ فى جميع أنحاء المدينة الأثرية بين ما هو أثرى وما أضافته يد المرمم.

ومن الركن الشمالى الغربى لمر الأعمدة يمكن للزائر أن يطل على فناء أعياد الدولة الوسطى حيث كان يتم الإحتفال بقدوم فيضان النيل (لوحة إرشادية رقم ٢٧). وفى الجانب الشمالى هناك جزء أخر من السور الخارجى المحيط بالمعبد والذى يرجع للدولة الوسطى، وأمامه سور المدينة الذى يرجع للدولة القديمة والذى ينعطف جهة الشرق.

معبد الإلهة ساتت الذى يرجع للأسرة ٦ (اللوحة الإرشادية رقم ٣)

فك أساسات المعبد البطلمى لم يكشف فقط عن أحجار المعابد القديمة التى أعيد استخدامها فى تلك الأساسات، بل سمح أيضاً بإجراء دراسة شاملة لتاريخ المعبد منذ أقدم العصور. فحتى بداية الأسرة ١١ (حوالى ٢١٠٠ ق.م) كان المعبد يبنى بالكامل من الطوب اللبن، وقد نتج عن ذلك ضرورة إجراء ترميمات وتجديدات دورية عليه، ولقد أمكن إعادة تشييد المعبد بصورته فى بداية الأسرة السادسة (حوالى ٢٣٠٠ ق.م) فى موقعه الأصلى ويمكن زيارته فى مجموعات صغيرة لضيق المكان بداخله.

والدرج المؤدى إلى معبد الأسرة السادسة يوجد عند الجانب الشمالى لمعبد الأسرة ١٨. ويرى الزائر أثناء نزوله إلى المعبد على الجانب الأيسر، إعادة بناء لسور المدينة الذى يرجع للدولة القديمة وتم تحصينه أكثر من مرة، وأمامه يُرى برج الحراسة الدائرى الذى يمثل جزءاً من قلعة ترجع للعصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية) (لوحة إرشادية رقم ٤)، والذى يلتحم به سور الدولة القديمة. ويتابع الزائر السور المحصّن جهة اليمين فيجد فوقه الأرضية الخرسانية القوية التى أعيد عليها تشييد معبد الأسرة ١٨.

ندخل إلى معبد الأسرة السادسة من خلال باب حديدى أقيم فى الموقع الأصلى لباب المعبد، إلا أن الداخل إلى المعبد فى القدم كان يجد نفسه فى فناء مكشوف يتقدم مبنى المعبد الذى أقيم بين ثلاثة صخور جرانيتية عالية. ولم يكن مبنى المعبد فى بداياته الأولى (حوالى ٣٠٠٠ ق.م) وفيما بعد فى القرون الأولى للدولة القديمة سوى كوخ بسيط من الطوب اللبن كان يستند إلى نقطة التقاء الصخرتين الجرانيتيتين الوسطى واليمنى، ربما أستناداً إلى وجود ينبوع ماء قديم عميق خلف الصخرتين (الشكل رقم ٥). أما البناء الذى يراه الزائر أمامه حالياً، فهو طبقاً لنتائج الحفائر خامس أو سادس بناء للمعبد فى خلال الدولة القديمة، ومع ذلك لا يزال يبدو بسيطاً جداً خاصةً إذاً ما قورن بالمقابر الملكية أو حتى مقابر الأشراف التى ترجع لزمن أقدم أو المعاصرة لزمن بنائه. إلا أن شكل المعبد هذا، هو بالتأكيد الطابع السائد لمعابد الآلهة فى المدن المصرية فى الألف الثالث ق.م والإختلاف هنا يرجع إلى أن المقابر كانت تبنى للأبدية بينما كانت المعابد مثلها مثل منازل الأحياء وحتى قصور الملوك تبنى بحيث تكون دائماً قابلة للتجديد والترميم كلما لزم الأمر.

والحجرة الموجودة بين الصخور الثلاثة كانت الوحيدة المسقوفة وكان السقف مقبياً ومبنياً من الطوب اللبن أو الخشب، ولم يكن الدخول إلى قدس الأقداس من الفناء مباشرة ولكن عبر حجرة جانبية ضيقة. تمثال الإلهة كان يقف داخل ناووس من الجرانيت (الأصل فى باريس)، يذكر النص المكتوب عليه إنه مُهدى من الملك بيبى الأول مُنشئ هذا البناء الجديد للمعبد. والأوانى الفخارية المعروضة أمامه عُثِرَ عليها أثناء إجراء الحفائر فى هذا المكان. ومن المحتمل أن الإله خنوم برأس الكبش وموطنه الأصلى

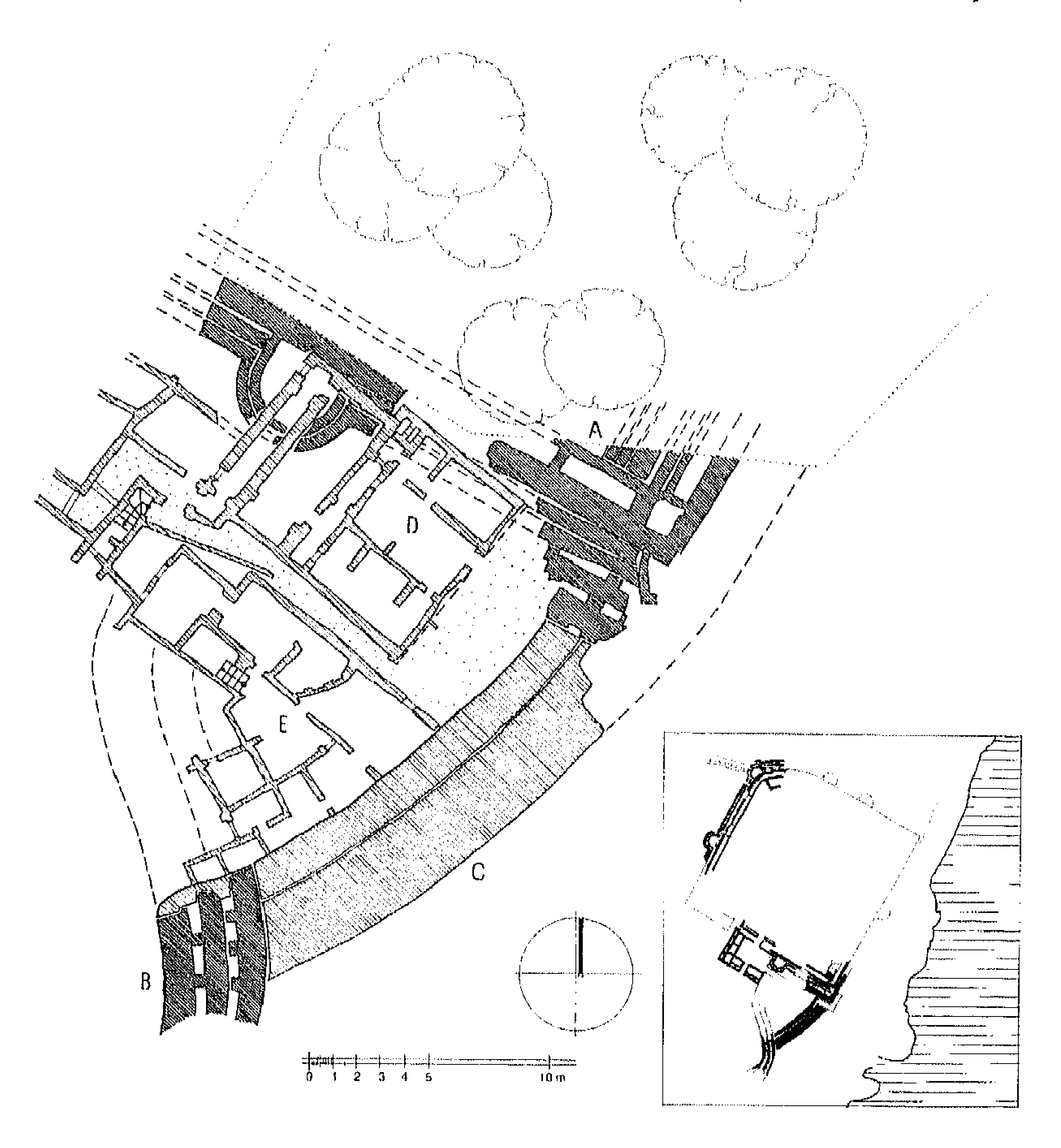
منطقة الجندل كان له مكان يعبد فيه كإله ثانوى فى نهاية التجويف الصخرى الضيق جهة اليسار وعلى سطح الصخرة اليسرى تدل نقوش مقتضبة لكل من مرن رع وبيبى الثانى على أن الملكان قاما بزيارة المعبد.

الفناء مزّود بمذبح من الطوب اللبن وحفرة جوانبها مبطنة من الداخل ليُقذف فيها فضلات طقوس تقديم القرابين، وهى تقع فى الركن الأيسر الأمامى للفناء. وأمام الصخرة الجرانيتية اليمنى يوجد إناء فخارى مثبت فى الأرض، كان يُستخدم غالباً فى التطهير. وربما كانت بقايا القوائم الخشبية، التى استبدلت حالياً بقوائم حديثة، والتى يمكن رؤيتها حول المذبح، وعلى نفس محوره إلى يسار الداخل وعند الجدار الخلفى للفناء، لتثبيت ظله تقى من الشمس.

وقد عُثِرَ أثناء الحفائر حتى فى أقدم الطبقات على كم هائل من القرابين، توجد نماذج منها معروضة فى دولابى العرض الزجاجيين ١١ و١٢ فى ملحق المتحف.

قلعة العصر العتيق وسور المدينة والمنازل التى ترجع للدولة القديمة (اللوحة الإرشادية رقم ٤)

لاستكمال مسار الزيارة يعود الزائر إلى اللوحة الإرشادية رقم ١، ثم يتتبع من هناك العلامات الإرشادية إلى اللوحة الإرشادية رقم ٤، ومن هناك يمكن الاطلاع على جزء أخر من أقدم مراحل تاريخ مدينة إلفنتين. (الشكل رقم ٦).



شكل ٦ : حصن العصر العتيق وأسوار المدينة المحصّنة والمنازل التى ترجع للدولة القديمة

A السور الجنوبى الشرقى للحصن
B أسوار المدينة المحصّنة
C توسيع المدينة المحصّنة
D مبنى إدارى
E منطقة الورش الحرفية

يظهر أمام الحافة الجنوبية لحديقة المتحف تحت أبنية أحدث جزئين كبيرين من السور السميك لقلعة العصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية حوالى ٢٨٠٠/ ٢٧٠٠ ق.م) والتى شاهد الزائر من قبل الركن الشمالى الغربى منها عند نزوله إلى اللوحة الإرشادية رقم٣.

ويمثل جزئى السور حوالى نصف السور الجنوبى للقلعة التى كانت تشغل مساحة قدرها حوالى ٥٠ × ٥٠ متر يقع معظمها حالياً تحت حديقة المتحف (A). وقد كانت تلك القلعة التى تمت تقويتها أكثر من مرة حتى بلغ سمك الجدران ٤,٥٠ متر، وارتفاعها تقريباً نفس الرقم والتى أمتازت بأبراجها النصف دائرية، تعد أبرز منشآت إلفنتين فى العصور المبكرة.

وقرب نهاية الأسرة الثانية (حوالى ٢٧٠٠ ق.م) استُبدلَت القلعة بسور محصّن يضم المدينة كلها (B,C) وقد أقيم مكان الواجهة الجنوبية للقلعة التى هُدمَت أجزاء من جدرانها مبنى إدارى فى الأسرة الثالثة (حوالى ٢٦٥٠ ق.م) كان يحده من الجنوب حارة ضيقة ويمتاز المبنى بأنه يحتوى فى داخله على ممرين طويلين ضيقين (D)، بينهما حجرة فخمة بها نيشة مزيّنة بالألوان وبها قواعد أعمدة. أما الحجرات المتاخمة من جهة الشرق فهى مخازن بسيطة تنتظم حول فناء مكشوف.

أما الحجرات الصغيرة التى تقع جنوب الحارة الطويلة الضيقة (E) فهى ورش لصناعة الأوانى الحجرية ترجع للأسرة الرابعة (حوالى ٢٥٥٠ ق.م). وقد ظهرت فى الحجرات المختلفة مخلّفات تدل على مراحل مختلفة لتهذيب الأحجار. إذاً فقد كانت هذه الورش، التى كانت تشغل مساحة تبلغ على الأقل ١٠٠٠ متر مربع، متخصصة وعلى مستوى عالٍ فى صناعة الآنية الحجرية.

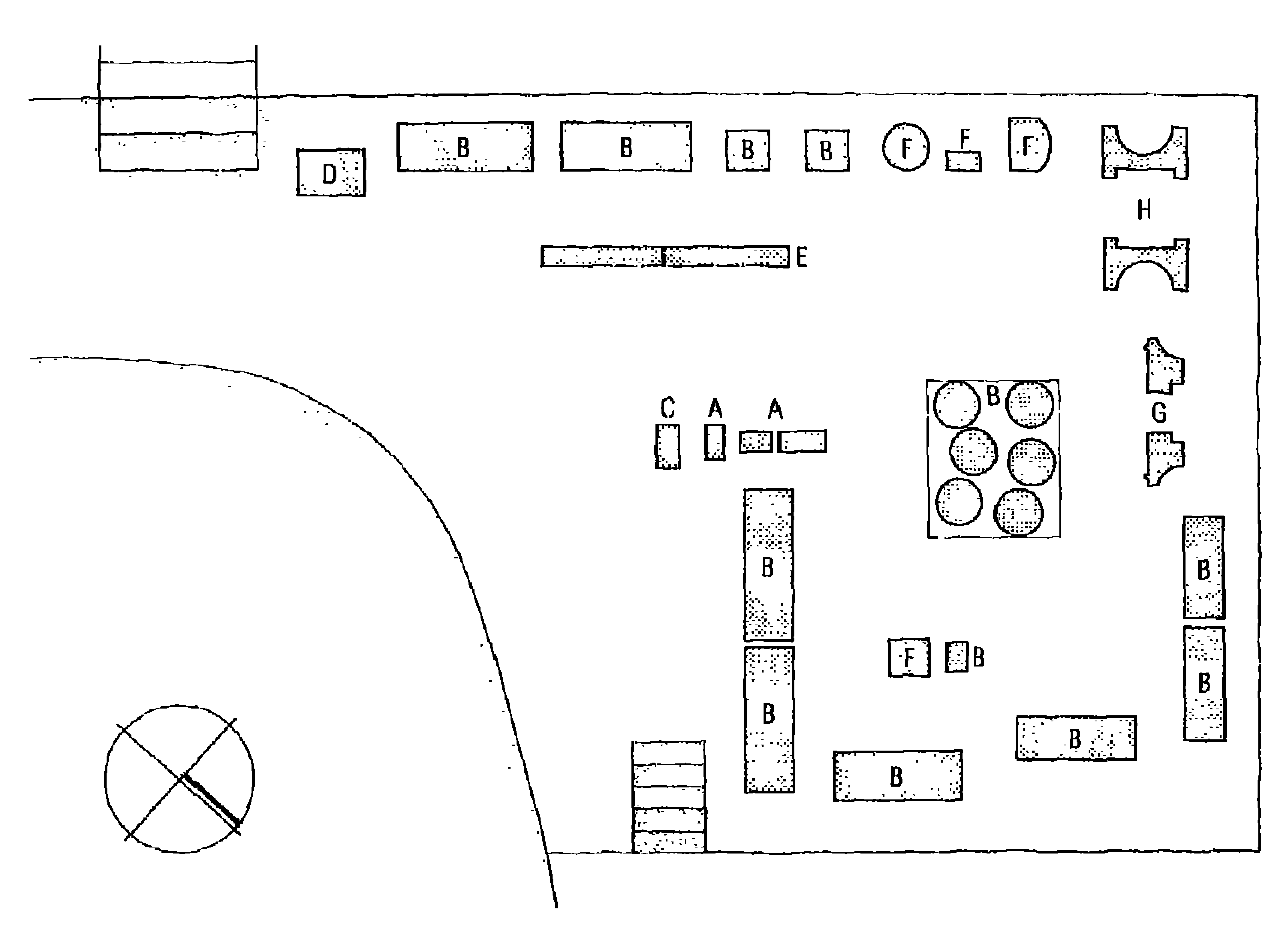
عناصر معمارية من معبد خنوم فى الدولتين الوسطى والحديثة (اللوحة الإرشادية رقم ٥)

عند اللوحة الإرشادية رقم ٥ يرى الزائر عدد من العناصر المعمارية لثانى معابد المدينة ألا وهو معبد الإله خنوم، وهى ترجع للدولتين الوسطى والحديثة. الإله خنوم بشكل الكبش، الذى كان يعبد فى منطقة الجندل الأول، عُبِدَ أيضاً بشكل ثانوى فى إلفنتين ربما منذ نهاية الدولة القديمة ومن المؤكد منذ بدايات الأسرة ١١ (حوالى ٢١٠٠ ق.م)، حيث كان هناك مكان للتعبد إليه فى معبد ساتت. ثم بُنِيَ له، على الأكثر فى الأسرة ١٢ أو ١٣ مقصورة صغيرة فى الجزء المرتفع من المدينة (شكل رقم ٢).

وبينما كانت ساتت إلهة محلية لإلفنتين فقط فإن خنوم، الذى إتحد مع آلهة مصرية أخرى بشكل الكبش، كان أحد الآلهة الكبرى فى البلاد ولذا فقد انتزع بمرور الوقت الصدارة من ساتت فى إلفنتين.

فنجد حتشبسوت عندما أقامت معبداً لساتت تقيم معبداً مساوٍ له فى الحجم للإله خنوم، حدثت فيه توسعات أخرى خلال الأسرة ١٨ ثم أصبح فى الأسرة ٢٠ يفوق مساحة معبد ساتت بكثير (شكل رقم ٣).

وتقتصر معلوماتنا حتى الآن عن التاريخ القديم لمعبد خنوم الذى يمتد لأكثر من ١٥٠٠ عام على تلك العناصر المعمارية المعروضة وغيرها التى تظهر فى بقايا بناء المعبد الذى يرجع للأسرة ٣٠ والتوسعات التى حدثت به فى العصور البطلمية الرومانية. وهناك عناصر معمارية أخرى كثيرة أعيد استغلالها فى بناء الشرفة الكبيرة لمعبد خنوم على ضفة النهر إلى جانب عناصر معمارية عديدة استُغلت فى العصور الوسطى والحديثة وأختفت نهائياً.



شكل ٧ : عناصر معمارية من مراحل البناء المبكرة لمعبد خنوم

A من الدولة الوسطى
F من الأسرتين ١٩/ ٢٠
H من الأسرة ٢٠
B-E من الأسرة ١٨
G من الأسرة ٢٩

وإذا ما دققنا النظر فى القطع المعروضة نلاحظ ما يلى (شكل رقم ٧):

- ثلاث كتل من الحجر الجيرى المزيّن، من بقايا أول معبد متواضع أقيم للإله خنوم فى الدولة الوسطى (A).

- عدد من أعتاب البوابات الضخمة وكتل دائرية تمثل بقايا أساطين وكتل من أعمدة كانت جزء من الممرات المسقوفة التى كانت تحيط بالمعبد وتلك التى كانت توجد فى فنائه الأمامى وهى ترجع لعصور حتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحتب الثانى وتحتمس الرابع (أسرة ١٨ حوالى ١٤٩٠ إلى ١٤٠٠ ق.م) (B).

- أجزاء من كتل أخرى من الحجرالجيرى والجرانيت، من نفس هذه الأبنية سالفة الذكر، ومن ضمنها جزء من بوابة جرانيتية (C) وكتلة كانت تمثل ركن صرح المعبد (D).

- كتلتان من منصة مزيّنة بأسم أمنحتب الثالث (حوالى ١٣٨٠ ق.م) (E).

- بعض العناصر المعمارية من التوسعات التى قام بها الرعامسة فى المعبد (F).

- أجزاء من بوابة كانت قد أُضيفت وثبتت بين عمودين وعليهما نقوش تضم أسم الملك أكوريس (أسرة ٢٩ حوالى ٣٨٥ ق.م) (G).

- أجزاء من بوابة أخرى مشابهة من عهد الملك نختنبو الأول (أسرة ٣٠ حوالى ٣٧٠ ق.م) (H) وهى توثق آخر نشاط معمارى طرأ على معبد الدولة الحديثة قبل أن يأمر نختنبو الثانى بهدم المعبد لإقامة بناء جديد تماماً للمعبد.

وهناك بوابتان أخرتان من المعبد القديم تم الاحتفاظ بهما فى البناء الجديد، أحدهما نمر منها بعد أن نصعد على درج حديث لنصل إلى اللوحة الإرشادية رقم ٦، وهى من عهد تحتمس الثالث وأضيفت إليها نصوص أخرى فى عهد رمسيس الثالث. وقد ظلت تقريباً فى موقعها الأصلى، حيث كانت فى المعبد القديم حتى هدمه جزء من سور الطوب اللبن المحيط بالمعبد، وبالنسبة للبناء الجديد الذى كان أكثر إتساعاً اصبحت تستخدم كبوابة جانبية إلى الفناء الكبير.

وبعد المرور من البوابة يُلاحَظ على اليمين فى أساسات رواق الأساطين الشمالى لفناء المعبد عدد من الكتل الدائرية المقنّاه، وهى أجزاء من أساطين معبد الأسرة ١٨.

معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة: الصرح (المدخل الرئيسى) (اللوحة الإرشادية رقم ٦)

اللوحة الإرشادية رقم ٦ مثبتة فى موقع مدخل المعبد الذى كان يوماً ما يمتاز بالضخامة والفخامة، لكن لم يتبق من هذا الصرح الذى كان عرضه يزيد عن ٤٥ متر وإرتفاعه يصل إلى حوالى ١٨ متر سوى أجزاء من أساساته والبلاطات الجرانيتية الضخمة لمدخله. ويمثل إقامة هذا الصرح فى العصر البطلمى المتأخر أو العصر الرومانى المبكر نهاية أعمال البناء والتشييد فى معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة والتى استمرت حوالى ٣٠٠ عام. حيث بدأت حوالى عام ٣٥٠ ق.م فى عهد الملك نختنبو الثانى، آخر الملوك المصريين الوطنيين قبل أن يقوم الإسكندر بإستعمار البلاد.

ويبدو أن المعبد الجديد كان قد خطط منذ البداية لتكون له نفس المقاييس التى وصل إليها فى النهاية وإلا ما كان المبنى الرئيسى للمعبد ـ الذى يمكن التعرّف عليه من خلال الأسطونين الجرانيتيين اللذين كانا يمثلان جزءاً من بوابته ـ سيُبنى بعيداً هكذا جهة الغرب (شكل رقم ٤).

ولم يتم فى عهد نختنبو الأول سوى تشييد هذا الجزء سالف الذكر، وأمر الملوك البطالمة الأوائل بنقش مناظر الأسطح الداخلية والخارجية للجدران، ثم عاد كل من بطليموس السادس والثامن بعد حوالى ١٥٠ عام إلى أعمال البناء والتشييد على نطاق واسع، حيث أُقيمت أمام المبنى الرئيسى للمعبد صالة أساطين عرضية بها صفين من الأساطين، ونشأ بينها وبين الصرح الفناء الواسع الذى تكتنفه أروقة أساطين عالية، لم يتبقى منها سوى مداميك قليلة من الجدران وبعض قواعد الأساطين. وقد فُقدَ الجانب الجنوبى للفناء تماماً، وقد أُقيمت هناك حالياً أربعة مذابح ترجع للعصر البطلمى المتأخر تشير إلى مكان رواق الأساطين الجنوبى. أما صف الأبنية المقامة من الطوب اللبن فى هذا الجانب فهى ترجع للقرنين الخامس والسادس بعد الميلاد حينما استُخدِمَ الفناء كمعسكر للجنود.

وناحية النهر كان يتقدم الصرح بعرضة الكامل شرفة تسمح بصفتها فناء أمامى للمعبد لعدد كبير من الناس بالاشتراك فى أعياد الآلهة.

وقد أنتهى أغسطس أول حاكم رومانى لمصر من إقامة هذه الشرفة، التى يبدو أن تشييدها قد بدأ فى العصر البطلمى المتأخر. ولم يتبق منها حالياً بارتفاعها الأصلى أى حوالى ٢٠ متر فوق سطح نهر النيل سوى الركن الشمالى الشرقى. أما فى اتجاه الجنوب فقد فُقِدت طبقاتها العليا والوسطى حيث إنهار بعضها وسقط فى النهر واستُخدِم بَعضها الأخر كمحجر. وبالنسبة للموقع الأصلى للركن الجنوبى الشرقى وللجزء المتبقى من السور الجنوبى على مقربة جهة الغرب فتوجد عليهما علامات حمراء ليسهل التعرّف عليها.

ويسمح التدمير الشديد للشرفة بالإطلاع على أسلوب إنشائها فوق أسوار المدينة التى ترجع لعصور الدولة القديمة والوسطى والحديثة والتى كانت تغطيها الشرفة. ويجدر بالملاحظة الدرج الذى يصعد تقريباً إلى قمة سور الدولة القديمة فى المقطع الجنوبى. ويوجد أمام هذا السور فى الجانب المطل على نهر النيل سور أخر من الكتل الحجرية وهو لا يسير فى خط مستقيم ولكنه منحنٍ، ويبدو أنه أقيم لتقوية وسند الأرضية التى بنى عليها الصرح. وتمتد إلى أبعد من الشرفة فى جهة النهر منصة تابعة لمعبد الدولة الحديثة، كانت تمثل نقطة النهاية الرسمية لموكب الإله خنوم عند خروجه إلى ضفة النيل، ولم يتبق منها سوى المداميك السفلى.

المنشآت الجنوبية على ضفة النيل: مقياس النيل الخاص بمعبد الإله خنوم والمنصة الجنوبية لشرفة معبد خنوم (اللوحتان الإرشاديتان ٧ ، ٨)

قبل الاستمرار فى زيارة معبد خنوم الذى يرجع إلى العصور المتأخرة يفضّل توفيراً للوقت النزول أولاً لزيارة المنشآت التابعة لمعبدى خنوم وساتت على ضفة النيل (اللوحات الإرشادية ٧ إلى ١٠) لذا يعود الزائر ويمر ثانية من البوابة الجانبية لمعبد خنوم وينزل من هناك إلى منصة الدولة الحديثة سالفة الذكر ثم ينحرف يميناً متتبعاً سور المدينة ويعبر بقايا السور الجنوبى للشرفة.

وعند اللوحة الإرشادية رقم ٧ يرى الزائر مقياس النيل الخاص بمعبد الإله خنوم وهو يشبه فى تصميمه البحيرة المقدسة. وقد أقيم هذا المقياس فى الأسرة ٢٦ غالباً ليحل محل مقياس أخر ذُكِرَ فى نصوص الدولة الوسطى. ومقياس الأسرة ٢٦ سبق إقامة شرفة المعبد التى كانت تشمخ إلى الشمال منه بحوالى ٤٠٠ عام. وفى العصور البطلمية والرومانية تم ترميم المقياس أكثر من مرة.

حوض المقياس مزوّد بدرجين ودرج ثالث مسقوف فى ركنه الشمالى الشرقى يصل مبنى المقياس بالنيل. وليس من باب المصادفة أن تطابق مقاييس الحوض وهى ١١,٢٥ م × ٨,٠٥ م أعلى مستوى للفيضان وأكثره انخفاضاً فى منطقة إلفنتين. وتوجد معايير للقياس الدقيق لإرتفاع مستوى الفيضان على جدار الدرج الشمالى وفى الممر الموصّل للنهر. وطبقاً لنتيجة القياس من ارتفاع أو انخفاض لمستوى فيضان النيل بمقارنته بقياسات أخرى فى مناطق عديدة من أرض مصر كان يتم تحديد الضرائب السنوية المقررة على الأراضى الزراعية.

وقد أعيد بناء المقطع الشرقى من دربزين الجدار الجنوبى لشرفة معبد خنوم جنوبى مقياس النيل (اللوحة الإرشادية رقم ٨). حيث عُثِرَ على عناصر معمارية كثيرة منه فى الأنقاض المتبقية من الفترة

التى استخدمت فيها تلك المنطقة كمحجر. وقد سمحت تلك العناصر بإعادة البناء ولكن لتتم إعادة البناء فى الموقع الأصلى، كان يتحتم إقامة جزء كبير من السور الجنوبى المتهدم للشرفة لذا تقرر أن يكون موقع إعادة البناء منحرف بزاوية قدرها ٩٠ درجة عن الموقع الأصلى والموقع الجديد ملاصق لمقياس النيل من جهة الجنوب.

والجزء الذى أمكن إعادة تشييده يمثل نصف إجمالى طول الشرفة وهوالجزء الذى كان يطل على حوض مقياس النيل ولعل ذلك هو السبب فى تزويد هذا الجزء بمذابح محاطة بمسلات وثلاثة نواويس بها لوحات. ويلاحظ بالنسبة للوحات، أن لوحتى الناووسين الأوسط والأيمن، رغم أن الخراطيش الملكية فيها فارغة، ترجع لعهد القيصر أغسطس بينما ترجع لوحة الناووس الأيسر إلى عهد بطليموس الثانى الذى يسبق عهد أغسطس بمائتى عام.

المخربشات (جرافيتى) اليونانية والديموطيقية، معظمها عبارة عن كتابات زائرى المنطقة فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد. وهناك نص باليونانية على مقدمة سقف الناووس الأيسر له أهمية من حيث التأريخ لأنه يذكر إلى جانب اسم الزائر أيضاً تاريخ الزيارة فى العام ١٤ من حكم أغسطس.

وهناك نص يونانى أخر إلى يمين هذا الناووس يذكر: "لدميتريوس وهرمياس وأخوتهم ملكية هذا المكان" وهذا النص غالباً يحدد موقع محل للبيع. وهناك نص ديموطيقى طويل مشابه يسار الناووس يذكر "صانعى الجعة أمام خنوم فى مكان وليمة عيد خنوم".

إلى اليمين من المنصة تُعرض بعض العناصر المعمارية التى عُثِرَ عليها أيضاً فى أنقاض الشرفة وهى أجزاء من معبد خنوم الذى يرجع للدولة الحديثة، وتجب هنا ملاحظة الكتلة الحجرية الكبيرة التى يوجد عليها بداية نص يشبه فى كتابته أسلوب اللوحات من عهد رمسيس الثالث.

وفى الرديم الذى تم رفعه من حوض مقياس النيل والمنطقة المحيطة به عُثِرَ على عدد من أجزاء تماثيل. منها رأس وأجزاء أخرى من تمثال لتحتمس الثانى ورأس للإله سيرابيس وكلاهما معروض حالياً بملحق متحف الجزيرة.

المنشآت الشمالية على ضفة النيل: معبد للنيل؟ وشرفة ومقياس النيل الخاص بمعبد الإلهة ساتت (اللوحتان الإرشاديتان ٩ . ١٠)

من ضمن النشاط المعماري للرومان فى إلفنتين إقامة أسوار قوية على ضفة النيل ما بين شرفتي معبدى ساتت وخنوم ومستمرة جهة الشمال ربما حتى الدرج الكبير الذى يقع شمالى حديقة المتحف (لوحة إرشادية رقم ٢٨).

للوصول إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٠ لابد أولاً من الرجوع إلى الجانب الشمالى من المنصة ومن هنا يتتبع الزائر سور المدينة فى اتجاه العلامة الإرشادية التى تشير إلى موضع اللوحة الإرشادية رقم ٩ ليصل إلى بناء ذا أعمدة كان عددها فى الأصل ست أعمدة تشكّل واجهة هذا البناء فى اتجاه النهر وهو مشيّد فوق الأسوار التى أقامها الرومان على ضفة النيل وجانبه الخلفى يستند إلى الصخور المحيطة وربما تشير صخرة ضخمة تُركت أمامه ونُحِتت بها بعض المواضع إلى أن هذا المبنى كان الهدف منه أن يمثل معبداً للنيل كان يوم ما بشكل الكهف.

استكمالاً للزيارة يمر الزائر فوق الموضع الأصلى لشرفة معبد ساتت (راجع اللوحة الإرشادية رقم١) فيجد نفسه عند مقياس النيل الذى أقيم فى العصر البطلمى المتأخر أو العصر الرومانى المبكر (اللوحة الإرشادية رقم ١٠) وهو يختلف عن مقياس معبد خنوم فى أنه صُمم منذ البداية بحيث ينزل كدرَج مسقوف من مستوى شرفة ساتت إلى مستوى النيل وكانت تتم إضاءة الدرج بواسطة نوافذ وكوى توضع بها قناديل.

على الجدار الأيسر لا يزال من الممكن تبيّن المعايير القديمة ذات الأرقام اليونانية وأسماء ولاة رومان. وعلى الجدران على جانبى الدرج توجد على نفس الإرتفاع معايير تركية وعلى الجدار الذى ناحية النهر يوجد معيار عَرُوضِيّ مرمرى حديث. ويوجد على الجدار الأيسر نص من عهد الخديوى إسماعيل، فيه شكر موجه إلى الخديوى على تكليفه للفلكى محمود بتجديد مقياس النيل. أما الجزء السفلى من المقياس الذى كان يمتد لمسافة فى داخل النهر فلم يعد كاملاً.

معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة: الفناء البطلمى

لاستكمال زيارة معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة (شكل رقم ٨) لابد من الرجوع إلى بقايا صرح المعبد (لوحة إرشادية رقم ٦) من هناك يعبر الزائر الفناء البطلمى الكبير فى إتجاه درج بسيط يؤدى إلى الصالة العرضية الأمامية للمبنى الرئيسي للمعبد. ويمكن ملاحظة ما يلى :

- بعد الانتهاء من أعمال البناء والتشييد فى المعبد، استمرت عملية نقش المناظر على أسطح جدرانه وعلى أساطينه وسقفه ما يزيد عن ثلاثمائة عام. فنجد المناظر التى توجد على جانبى المدخل الجانبى فى الناحية الشمالية الغربية للفناء ترجع للعصر البطلمى المتأخر (حوالى ١٥٠ ق.م) بينما يحمل ما تبقى من أول أسطون فى جهة الشرق فى الناحية الشمالية من المعبد نقش باسم القيصر الرومانى هادريان (١١٧ إلى ١٣٨ بعد الميلاد) وما تبقى من الأسطون الثالث من جهة الغرب أسم القيصر أنطونيوس بيوس (١٣٨ إلى ١٦١ بعد الميلاد).

- تم تجميع نماذج من نقوش المعبد فى حائط مقسّم إلى لوحات أقيم إلى اليسار من المدخل الجانبى الشمالى الشرقى. اللوحة الأولى من اليسار تعرض نقوش من عهد بطليموس السادس، اللوحات من الثانية إلى الخامسة تضم نقوش من عهد بطليموس الثامن، واللوحة الأخيرة بها نقوش من عهد القيصر الرومانى أغسطس. وفى أعلى اللوحة الثالثة توجد كسرات من أفريز ومن كورنيش مصرى من عهد القيصر تراجان.

- بين قواعد الأساطين التى لا تزال قائمة اليوم تظهر بوضوح الدوائر المبدئية التى حزها المصرى القديم لتحديد موقع إقامة الأسطون وهى ترشدنا اليوم إلى مواضع الأساطين الناقصة. وأمام الأساطين كانت تقف تماثيل حيث أعدّت لها انخفاضات فى بلاطات أرضية المعبد. وطبقاً لما عُثِرَ عليه فى الفناء من قواعد وأجزاء من تماثيل فإن الأمر كان يتعلق فى بعض الأحيان بتماثيل لملوك قدامى فنجد أمام العمود الرابع من جهة الغرب قاعدة عليها قدمان هى كل ما تبقى من تمثال يفوق الحجم الطبيعى للملك رمسيس الثانى.

- لم يكن الفناء عبارة عن مساحة خالية ولكن كانت به حفر مبطنة لا تزال ظاهرة لليوم رغم تغطيتها فى العصور اللاحقة وكانت موزعة على جانبى محور المعبد لتحتوى على صفين من الأشجار فى كل جانب. كما تشير قواعد التماثيل والمواضع التى أعدت فى بلاطات الأرضية إلى أن الفناء كانت تقف به تماثيل ومذابح... إلخ (شكل رقم ٨).

- وهناك أربعة من هذه المذابح لم يتيسر تحديد أماكنها الأصلية لاختفاء جزء من بلاطات الأرضية، تم إقامتها حالياً فى الجانب الجنوبى من الفناء. ويتبيّن من النصوص اليونانية المكتوبة على تلك

المذابح أنها مهداة من حكام المدينة اليونانيين فى عهدى بطليموس السادس والثامن (حوالى ١٥٠ ق.م) وهى كانت مخصصة لحرق القرابين وكانت تحتوى بين أركانها العلوية التى تشبه القرون على إناء معدنى.

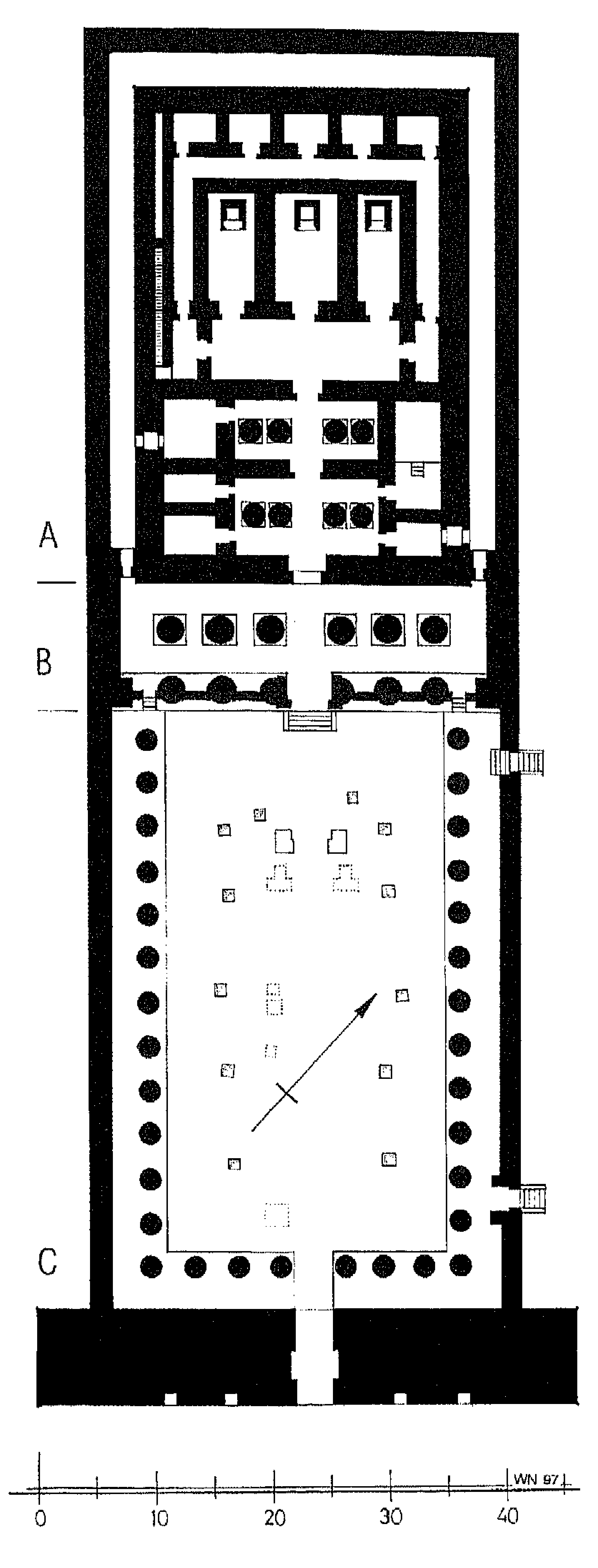
- ومنذ النصف الأول من القرن الخامس الميلادى وحتى النصف الأول من القرن السادس الميلادى استُغل الفناء الذى كانت أسواره الخارجية لا تزال قائمة إلى حد كبير كمعسكر محصّن لفرقة رومانية شرقية نُقلت إلى إلفنتين لتعزيز القوات الحامية للحدود ويمكن الاطلاع على أسلوب تلك العمارة العسكرية من خلال صف المنازل التى لا تزال قائمة فى الجانب الجنوبى للفناء وهى كلها عدا المنزل الأوسط مقامة بنفس التصميم: طابق أول به حجرتين إحداهما خلف الأخرى وفى الحجرة الأمامية يوجد درج أمامى يؤدى إلى الطابق الثانى ويوجد به أسفل الدرّج مخزن. ولا يختلف عنها كثيراً المنزلان اللذان يقعان فى الجانب الغربى من الفناء.

- الخدوش العديدة الموجودة على بلاطات أرضية الفناء ترجع غالبيتها إلى هذه الفترة التى استخدم فيها الفناء كمعسكر رومانى. أما قاعدتا الأسطونين الأسودين الذين يرجعان إلى عهد رمسيس الثانى واللذان يشكلان جزءاً من الأرضية فيبدو أنهما أستخدما كنقاط قياسية حيث يمر بهما خط منقوش يصل إلى منتصف مدخل الصرح ومن الناحية الأخرى يمتد الخط عبر الفناء إلى المبنى الرئيسى للمعبد.

منظر عام لجبانة الكباش المقدسة (اللوحة الإرشادية رقم ١١)

كان يتم تربية كبش فى ملحقات معبد خنوم على الأقل منذ العصر البطلمى، ويدل على ذلك الدفنات الفخمة لتلك الكباش فى المنطقة الواقعة بين معبد خنوم ومعبد ساتت ولمشاهدة منظر عام لجبانة الكباش يتجه الزائر أمام الدرج البسيط الموصّل إلى الصالة العرضية الأمامية للمعبد جهة اليمين ويخرج من البوابة الشمالية الغربية للمعبد ثم يتبع علامة التوجيه إلى اللوحة الإرشادية رقم ١١.

وقبل الخروج من البوابة يلاحظ الزائر على اليمين قواعد تماثيل كانت بعضها لتماثيل برونزية بالحجم الطبيعى من العصر الرومانى. وكان يصل بين جبانة الكباش المقدسة وبين المعبد درّج لم يبق منه سوى الجزء الأسفل. وتوجد يمين بسطة الدرّج الأولى من أعلى غرفة ضيقة لا يزال جزء من أرضيتها الحجرية باقياً وبها مذبح ويليها جهة الشرق حجرة الدفن الشرقية ويسار البسطة الثانية السفلى توجد حجرة الدفن الغربية. ويبدو أن التوابيت الحجرية الثقيلة كان يتم إدخالها من مداخل على الناحية الشمالية ثم تغلق التوابيت بعد عملية الدفن بلوح حجرى ويبنى فوقها بناء مستطيل من الطوب اللبن.



شكل ٨ : معبد خنوم الذى يرجع لعهد الملك نختنبو الثانى والتوسيعات التى طرأت عليه فى العصرين البطلمى والرومانى

A المبنى الرئيسى لمعبد الملك نختنبو الثانى

B الصالة الأمامية التى ترجع لعهدى بطليموس السادس والثامن

C الفناء البطلمى - الرومانى به حفر لجذور أشجار (مهشّرة) وأماكن وقوف التماثيل والمسلات والتماثيل التى بشكل أبى الهول (منقّطة) وكذلك قاعدة مركب مقدسة

كانت منطقة جبانة الكباش في البداية أرضاً زراعية تابعة لمعبد ساتت ثم بدأ استغلال الجزء الغربي منها كجبانة للكباش غالباً في أواخر الدولة الحديثة. ومومياوات الكباش التي اكتشفت بين عامي ١٩٠٦ و١٩٠٩ م يوجد منها واحدة معروضة بمتحف النوبة بأسوان والمومياوات الأخرى معروضة في القاهرة وباريس.

معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة: الصالة الأمامية لبطليموس الثامن (اللوحة الإرشادية رقم ١٢)

يعود الزائر إلى السلم المؤدى إلى الصالة الأمامية (صالة الدخول) التى تقع على مستوى أعلى بعض الشئ من الفناء. وكان سقفها يُحمل بواسطة صفان من الأساطين في كل صف ستة أساطين. وكان ارتفاعها يصل إلى ١٣ متر، وقد تبقت بعض قواعد الأساطين وأحد تيجانها وجزء من أحد كتل السقف الأمامية، نُقشَ على سطحها من الداخل أسم ملكة تدعى كليوباترا. ونظراً لوجود مدخل جانبى جهة الشمال يتم الصعود إليه من الخارج بسلم أيضاً فقد يعنى ذلك أن البوابة الرئيسية على محور المعبد كانت لا تستخدم إلا فى المناسبات الرسمية. وفوق جزء من السلم الرئيسى وإلى الشمال منه أقيمت فى نهاية القرن السادس الميلادى كنيسة صغيرة كانت جزء من المنطقة السكنية التى تكونّت فى منطقة المعبد بعد أن تعرض لقدر كبير من التدمير. وتُظهر جدران الكنيسة التى تم إعادة بنائها جزئياً الصالة الوسطى والجناح الشمالى ويبرز المحراب جهة الشرق وتوجد فى وسط الصالة الوسطى أمامه بقايا أربعة أعمدة كل منها بشكل الركن. كانت تحمل القبة المقامة فوق الصالة الوسطى الرئيسية للكنيسة. وقد تم دمج قاعدتى أسطونين من أساطين الصالة الأمامية لمعبد خنوم فى الجدار الشمالى للكنيسة.

معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة: المبنى الرئيسى للمعبد من عهد نختنبو الثانى (اللوحة الإرشادية رقم ١٣)

شُيِّد المبنى الرئيسى للمعبد الذى كان يبلغ عرضه حوالى ٢٨ متر وطوله حوالى ٤٢ متر على أساسات بعمق ثلاثة أمتار بها سراديب. وقد تبقى منه إلى جانب أجزاء من الأساسات بعض العناصر المعمارية الجرانيتية من بوابته الرئيسية الأمامية، التى كان يزيد ارتفاعها عن عشرة أمتار، وأعتاب علوية محطمة لبوابات أخرى وكتل جرانيتية من سقف المعبد.

قائما البوابة الرئيسية الأمامية لا يزال الأيمن منهما يحمل جزءاً من العتب العلوى الذى كان ارتفاعه يبلغ ما يزيد عن مترين وكان يتكوّن من ثلاثة مداميك جرانيتية. والأجزاء الأخرى التى تم العثور عليها منه فى أنقاض المعبد معروضة إلى اليسار من القائمين. أما جدران المبنى المبنية بالحجر الرملى فلم يبق منها سوى مقطع صغير فى الجانب الجنوبى. ورغم التدمير الشديد الذى أصاب المبنى الرئيسى للمعبد يمكن تحديد تخطيطه (انظر الشكل رقم ٨).

ويستطيع الزائر أن يتبيّن على الأرضية تخطيط الصالات الأمامية للمبنى الرئيسى للمعبد حيث كان العتبان العلويان المرممان المعروضين جهة اليسار يرتفعان فوق مدخلى الصالتين العرضيتين الثانية والثالثة أما العتب العلوى المعروض إلى اليمين (منحرف بزاوية ٩٠ درجة) فهو جزء من مدخل قدس الأقداس الذى كان يقع خلف الصالات العرضية مباشرةً.

وكما هو الحال فى فناء المعبد فقد استمرت عملية نقش أسطح جدران المبنى الرئيسى للمعبد عدة قرون من الزمن. فنجد على كتفى المدخل الجانبى فى بقايا الجدار الجنوبى نقوش من عهد نختنبو الثانى بينما نقوش الجزء الأسفل المتبقى من السطح الخارجى للجدار ترجع لعهد القيصر أغسطس أى بعد مرور ثلاثمائة عام من نهاية عهد نختنبو الثانى. أما البوابة الرئيسية فتحمل مناظر طقسية بأسم الإسكندر الرابع ابن الإسكندر الأكبر، أمر بنقشها بطليموس الأول قبل أن يعلن نفسه ملكاً على مصر.

بوابة أمنحتب الثانى (اللوحة الإرشادية رقم ١٤)

فى الطريق إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٤ يعبر الزائر المنطقة التى كانت غالباً ما تضم المبانى الإدارية والورش والمخازن التابعة لمعبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة وكانت تلك المبانى تمتد بطول الجانب الجنوبى للمعبد (انظر الشكل رقم ٤).

فى بداية الطريق يوجد على اليمين بقايا أحد الأسوار المحيطة، التى كانت تحيط بحرم معبد خنوم فى فترة مبكرة من تاريخه، وخلفه يوجد مبنى من الطوب اللبن تشير المكتشفات التى تم العثور عليها بداخله إلى انه كان أحد المبانى الإدارية التابعة للمعبد وعلى الجانب الأيسر وصلت دراسة الطبقات التى ترجع إلى العصور المختلفة إلى طبقة بها بقايا منطقة سكنية ترجع لأواخر الدولة القديمة.

وتلك المبانى التابعة للمعبد كان يفصل بينها وبين باقى المدينة جهة الجنوب سور سميك من الطوب اللبن. وكانت لا تزال هناك بقايا من هذا السور فى الجانب الجنوبى قائمة عند إجراء الحفائر ١٩٠٦ - ١٩٠٨، تشير إلى موقعها اليوم بوابة امنحتب الثانى (لوحة إرشادية رقم ١٤) التى أعيد

تركيبها من بعض عناصرها المعمارية التى كان قد تم إعادة استخدامها فى أساسات مبنى من العصور الوسطى كان غالباً عبارة عن برج حراسة تقع أنقاضه على بعد حوالى ٥٠ متر جنوبى الموقع الحالى للبوابة.

ومن الجدير بالملاحظة النقوش المختلفة التى تزيّن البوابة، فنجد أن نقوش الواجهة والجزء العلوى من كتفى البوابة ترجع لعهد أمنحتب الثانى (أسرة ١٨ حوالى ١٤٢٥ ق.م) أما المناظر السفلية لكتفى البوابة فهى من عهد بطليموس الأول (حوالى ٣٠٠ ق.م) أى أنها أضيفت بعد ١١٠٠ عام وربما تزامن ذلك مع نقل البوابة إلى ذلك الموقع، وربما نتج عن ذلك أيضاً الترميم القديم لبعض الأضرار التى قد تكون ١لحقت بالعتب العلوى للبوابة أثناء عملية النقل.

منظر عام للقطاع الجنوبى من المدينة الأثرية (لوحة إرشادية رقم ١٤)

يتمتع الزائر عندما يقف عند اللوحة الإرشادية رقم ١٤ بمنظر شامل للقطاع الجنوبى من المدينة الأثرية. فإذا ما نظر الزائر فى إتجاه مجرى النهر وهو واقف فى المساحة الخالية التى تتقدم بوابة أمنحتب الثانى فإنه يستطيع أن يحدد العرض الضيق لأقدم مراحل المدينة والتى كانت مقصورة على الصخور الضخمة للجزيرة الشرقية. حتى تم فى حوالى ٢٠٠٠ ق.م إقامة سدود ثم ردم المنحفض الذى كان يفصل بين الجزيرة الشرقية والجزيرة الغربية وشيئاً فشيئاً دخلت تلك الأرض الجديدة المكتسبة فى نطاق عمران المدينة (الشكلان رقمى ١ و٢).

ويتضح امتداد المدينة فى الدولة الحديثة من البقايا العالية لركن سور المدينة الذى يقع جنوبى الصخور الجرانيتية المتفرقة على ظهر الجزيرة الشرقية. وقد استمرت عمليات التحصين والتعلية لهذا السور طوال العصور وحتى العصر الرومانى حيث ظل دائماً الحد الجنوبى المحصّن لإلفنتين. الامتداد الباقى للسور جهة الجنوب والغرب عبارة عن أسوار حديثة من الطوب اللبن أقيمت فوق بقايا الأسوار القديمة.

وقد أدى نشاط السباخين فى استخلاص كميات هائلة من السباخ (مخصّب للأرض الزراعية) إلى ضياع جزء كبير من التل الأثرى الذى لم يتبق منه للبحث العلمى سوى بقايا من سفلى طبقات العمران. ولكن الاختلاف فى مستوى سطح الأرض الذى نتج عن إزالة السباخين لجزء من التل والذى يبلغ حوالى ١٢ متر خلق ما يشبه القطاع الرأسى الأثرى الذى يسمح بالاطلاع على تتابع طبقات العمران وبالتالى تاريخ المدينة.

البناء المقبى الذى يظهر أعلى التل جهة اليمين هو جزء من قبو، وهو تقريباً كل ما تبقى من عمران العصر البطلمى وكذلك الجدران السميكة التى تشكّل مربع والتى تقع يسار القبو هى جزء من منزل من نفس العصر يعلوه مبنى أحدث من العصر الرومانى.

أسفل ما سبق تتوالى طبقات العصر المتأخر والدولة الحديثة وسفلى تلك الطبقات هى طبقة الدولة الوسطى، وإلى نفس تلك الفترة ترجع بقايا المساكن المنتشرة فى المساحة الواسعة التى تعلو المنخفض المردوم أمام البقايا الشاهقة للتل الأثرى.

وقد تبقى من مدينة الدولة القديمة أمام اللوحة الإرشادية رقم ١٤ مباشرةً جزء من أقدم أسوار المدينة وبها بوابة من الحجر غير المصقول كانت تمثل المدخل الجنوبى الغربى للمدينة. وقد ظل هذا الجزء من أسوار المدينة الذى أنشئ فى الأسرة الثانية (حوالى ٢٨٠٠ ق.م) مستخدماً حتى نهاية الدولة القديمة وقد تمت تقويته بزيادة إضافات إلى الجانب الداخلى من الجدران وتعليته أكثر من مرة خلال فترة إستخدامه.

معبد كلابشة المبكر (اللوحة الإرشادية رقم ١٥)

يمكن قطع مسار الزيارة داخل مدينة إلفنتين الأثرية عند اللوحة الإرشادية رقم ١٤ لزيارة أثرين أعيد بناءهما فى الطرف الجنوبى للجزيرة عامى ١٩٧٢ و١٩٨٧م. يتبع الزائر علامة التوجيه التى تشير إلى موضع اللوحتين الإرشاديتين ١٥ و١٦ حيث يترك عبر مخرج فى سور الطوب اللبن الحديث نطاق المدينة الأثرية القديمة ليبصر أمامه الواجهة الخلفية لمعبد كلابشة المبكر الذى أعيد بنائه هنا بحيث تطل واجهته على النيل.

كانت عناصره المعمارية قد ظهرت فى أساسات معبد كلابشة الكبير أثناء نقله ما بين أعوام ١٩٦١ إلى ١٩٦٣ م من موقعه الأصلى حوالى ٥٠ كم جنوبى أسوان إلى الطرف الشرقى من السد العالى ثم خزّنت الكتل التى بلغ عددها ما يزيد عن ٢٥٠ كتلة فى الموقع الجديد وأثبتت دراستها الدقيقة أنها العناصر المعمارية لمعبد صغير وبقايا بوابة كانت فى سور الطوب اللبن المحيط بالمعبد.

وفيما يتعلق بكتل تلك البوابة فقد أهدتها حكومة جمهورية مصر العربية إلى ألمانيا الاتحادية للتعبير عن شكرها لجهود ألمانيا فى نقل معبد كلابشة الكبير حيث أقيمت البوابة بمتحف شارلوتنبورج للآثار المصرية بمدينة برلين. ولدواعى الأمن العسكرى بدا من الصعب إقامة المعبد المبكر فى الموقع الجديد لمعبد كلابشة الكبير ولذا تم نقل كتله إلى إلفنتين عام ١٩٧٢ وأعيد تركيبها هناك.

وقد أعيد بناء المبنى الرئيسى الصغير للمعبد بصورة شبه كاملة، أما الصالة الأمامية التى كانت تتقدمه فلم يبق منها سوى عدد قليل من الكتل تم ترتيبها على مستوى منخفض عن المبنى الرئيسى للمعبد لتعطى تصوراً لتخطيطه الأصلى وهناك بضعة كتل من بوابة كانت جزءاً من سور الطوب اللبن المحيط بالمعبد تقع بالقرب من ضفة النهر.

والمعبد المبكر مثله مثل معبد كلابشة الكبير الذى يرجع لعصر لاحق كان مكرّساً للإله المحلى لمنطقة كلابشة مندوليس ويرجع إنشائه إلى عهد الملك المروى أرجامينس الثانى Ergamenes II (٢١٨ إلى ١٩٥ ق.م) وقد أضاف إلى نقوش المعبد كل من بطليموس التاسع والقيصر أغسطس قبل أن يقوم الأخير بهدم هذا المعبد الصغير ليقيم معبد كلابشة الكبير.

التمثال الصغير الذى يمثّل حيوان من فصيلة الأفيال الذى يقف تحت النخيل إلى الغرب من المعبد تم العثور عليه عام ١٩٨٧ أثناء أعمال بناء وتشييد فى أسوان شمال غرب معبد إيزيس.

بوابة أجواله Ajuala (اللوحة الإرشادية رقم ١٦)

بقايا البوابة التى عُثِرَ عليها فى منطقة أجواله التى تقع على بعد حوالى ٧ كم جنوبى كلابشه نُقلت إلى إلفنتين حوالى عام ١٩٠٠ م حيث تم تخزينها فى فناء متحف الجزيرة. ونتيجة لإجراء تجديدات هناك تم إعادة تركيبها فى مكانها الحالى عام ١٩٨٨ م.

ولا نعرف عن تفاصيل المباني التى كانت تلك البوابة ملحقة بها، سوى أنها عندما كانت لا تزال قائمة فى مكانها الأصلى، الذى غمرته مياه بحيرة ناصر بعد بناء السد العالى، كان يتقدمها شرفة أمامية. ولكن زينة واجهة البوابة لا تدع مجالاً للشك، فى أنها كانت تمثل المدخل لأحد معابد الإله مندوليس. ويصعب تأريخ البوابة، لأن الخراطيش الملكية المنقوشة عليها، لم يكتب فيها سوى كلمة "فرعون"، دون ذكر اسم هذا الفرعون. ولكن من المرجح أن البوابة، رغم المستوى الضعيف لزينتها، كانت جزءاً من أحد الأبنية، التى أقامها أغسطس فى شمال النوبة السفلى على الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية.

منظر عام للمدينة الأثرية (اللوحة الإرشادية رقم ١٧)

لاستكمال مسار زيارة المدينة الأثرية يعود الزائر إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٤ (بوابة أمنحتب الثانى) ويستمر إلى أن يصل قرب اللوحة الإرشادية رقم ١٣ (المبنى الرئيسى لمعبد خنوم من عهد نختنبو الثانى) حيث توجد علامة توجيه تشير إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٧. ثم يسير الزائر فوق الإضافات الحديثة التى أُضِيفت إلى الجدار الشمالى للحفرة الكبيرة، التى كانت قد حُفِرت لوضع أساسات المعبد، حتى يصل إلى الركن الشمالى الغربى للحفرة. وينظر الزائر على يساره إلى داخل الحفرة ليرى ما تخلّف عن إستغلال المعبد وأساساته كمحجر فى العصور الوسطى والحديثة. ويمكن ملاحظة أنقاض الأسقف الجرانيتية المنهارة وناووس حجرة الطقوس الشمالية الغربية الغارق وسط الأنقاض وكذلك بقايا ناووس كبير أخر فى الركن الجنوبى الغربى.

ثم يمر الزائر من خلال حارة ترجع لعمران منطقة المعبد فى العصر الرومانى المتأخر (القبطى). ويُلاحظ فى بداية الحارة على اليمين بقايا منزل به سلّم فى حالة جيدة من الحفظ كان يؤدى إلى طابقه الثانى. ومع نهاية الحارة يصعد الزائر بواسطة درّج حجرى حديث جهة اليمين أعلى الجانب الغربى للسور الذى يحيط بمعبد خنوم وملحقاته فى العصور المتأخرة ويبلغ سمكه هنا حوالى ٥,٥٠ متر ولا يزال قائماً بارتفاع خمسة أمتار. ثم يؤدى سلّم معدنى إلى منصة بها اللوحة الإرشادية رقم ١٧ ومن فوق تلك المنصة يتمتع الزائر بمشهد رائع حيث يطل على المدينة الأثرية بالكامل التى تقع وسط مجرى نهر النيل.

وفيما يتعلق بالتاريخ القديم للمدينة فإن نظرة إلى الجنوب توضّح مرة ثانية أن الجزيرة الحالية كانت منقسمة إلى جزيرتين صخريتين أحدهما شرقية والأخرى غربية وعند توجيه النظر إلى الشمال تظهر القرية الحديثة التى تقع على مستوى مرتفع وقد أقيمت منازلها على الامتداد الشمالى للمدينة الأثرية وعند الإلتفات إلى جهة الغرب يمكن رؤية الحافة الجبلية الصخرية التى تضم مقابر قبة الهواء. حيث أقام حكام إلفنتين منذ أواخر الدولة القديمة وفى الأسرة ١٢ مقابرهم الصخرية الفخمة وكذلك يمكن رؤية خرائب دير الأنبا سمعان وأخيراً ضريح الأغاخان الذى أقيم فى الخمسينات من القرن العشرين.

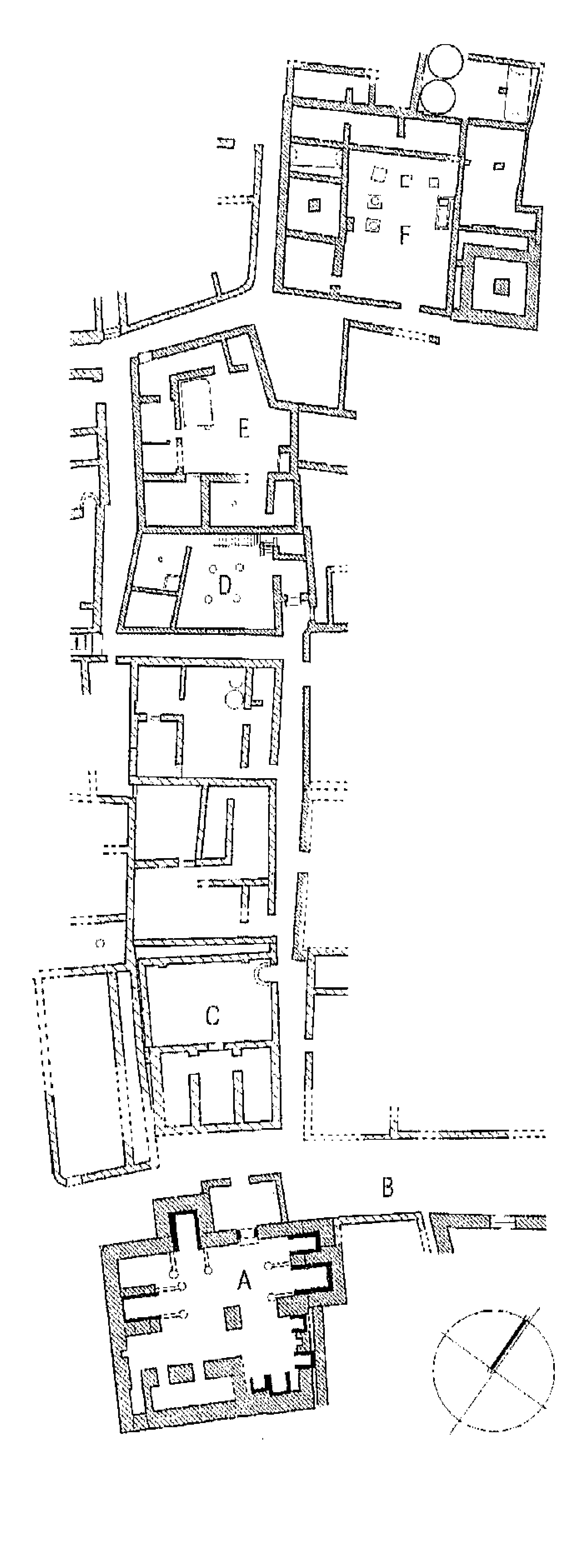
ويمكن للناظر أن يُميّز ناحية الشرق معبدى خنوم وساتت وجهة الشمال الشرقى معبدى ساتت اللذان أعيد بناؤهما واللذان يرجعان لعهدى منتوحتب الثانى (لوحة إرشادية رقم ٢٣) وسنوسرت الأول (لوحة إرشادية رقم ٢٥)، ومقاصير الملوك الأناتفة (لوحة إرشادية رقم ٢٢) وأجزاء من أساسات معبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ١٨، وخلف ذلك جهة اليسار يظهر تخطيط كنيسة مسيحية (بازيليكا) ترجع للقرن السادس الميلادى (لوحة إرشادية رقم ٢١)، ليست أيضاً فى موقعها الأصلى ولا يشار إلى تخطيطها سوى بالمداميك السفلى من جدرانها وإلى الجنوب من تلك تبدأ المنطقة التى

تمت دراستها من الحى السكنى الغربى للمدينة الأثرية، ويمكن التركيز على ما يلى:

- غربى الكنيسة يمتد بناء واسع من أواخر الأسرة ١٢ (حوالى ١٨٢٥ ق.م) به أفنية ومخازن وكانت وظيفته غالباً تخزين وتصنيع وتوزيع المواد الغذائية (لوحة إرشادية رقم ٢٠).
- جنوبى الكنيسة عدد من المنازل الكبرى من نفس الفترة (لوحة إرشادية رقم ١٩).
- وعلى مسافة أبعد جهة الجنوب وعلى مستوى أعلى من الأرض يوجد معبد من أواخر الدولة الحديثة (حوالى ١٢٠٠ ق.م) يبدو أنه كان لطائفة تتبع عقيدة خاصة بها وذلك المعبد له فناء طويل وثلاثة مجموعات من الحجرات الأمامية يليها قدس الأقداس وعلى جانبى المعبد توجد منازل وورش حرفيين ومبانى إدارية من نفس الحقبة الزمنية.
- وعلى مستوى مرتفع أكثر من الأرض توجد بقايا منزلين من الأسرة ٢٧ (حوالى ٥٠٠ ق.م) موازيين للسور الغربى لمعبد خنوم بل أن هذا السور يغطى على أجزاء من هذين المنزلين اللذين عاش فيهما مرتزقة أراميون يهود زمن حكم الفرس لمصر.
- وعلى مستوى أعلى من السابق توجد إلى الغرب من المنصة مجموعة من منازل الأسرات ٢٨ إلى ٣٠ (حوالى ٣٦٠ ق.م) لعل أوضحها من حيث التخطيط المنزل الأمامى الأول جهة اليمين. فنجد المدخل جهة الجنوب يليه ممر يؤدى فى نهايته على اليسار إلى حجرة كبيرة كانت مسقوفة وعلى اليمين إلى فناء داخلى مكشوف به سلّم خشبى (مردوم حالياً بغرض الحفاظ عليه من عوامل التعرية) كان يؤدى إلى الطابق العلوى.
- المنصة تأخذ حيز الدور الأرضى لأحد منازل العصر الرومانى (حوالى ١٠٠ بعد الميلاد) وتغطى قبو (بدروم) المنزل. وهناك بقايا أبنية أخرى من نفس الفترة الزمنية جهة الجنوب عند حدود التل الأثرى حيث بدأ نشاط السبّاخين.

وبصفة عامة يتضح أن العمران زاد مع الزمن فأخذت مساحات الأفنية تقل وأصبحت المنازل متلاصقة وصارت تتكون من عدة طوابق وتحولّت أماكن التخزين إلى أقبية كبيرة. ولعل الشكل العام للمدينة فى أواخر الألف الأول ق.م لا يختلف كثيراً عن شكل قرية إلفنتين الحالية.

لم يُعثر أثناء الحفائر إلا على أقل القليل من أثاث المنازل، ونظراً لأن الأثاث كان يصنع من الخشب والحصير فإنه كان حتى بعد تلفه يستخدم كوقود للنار التى كانت تشعل للطهى أو التدفئة. ولكن لاتزال هناك بعض قطع الأثاث الثابتة المصنوعة من مواد صلبة، منها بعض المواقد والرحايا وأوانى كبيرة للتخزين (واحد منها معروض فى ملحق المتحف). ومن المكتشفات الجديرة بالذكر إلى جانب ما عُثرَ عليه من بقايا أثاث المنازل وبعض القطع المرتبطة بالعقائد والتديّن بردية عليها عقد زواج من عهد نختنبو الثانى وكنز من العملات من العصر البطلمى المبكر، نماذج منها معروضة فى ملحق المتحف.





شكل ٩ : الجزء الشمالى الغربى من المدينة فى أواخر الدولة الوسطى (تفاصيل)

A مبنى تبجيل حقاإيب
B الشارع الكبير
C مقصورة سوبك إم ساف
D المنزل رقم H 70
E المنزل رقم H 69
F مركز التخزين والتوزيع

مبنى تبجيل حقاإيب (اللوحة الإرشادية رقم ١٨)

لاستكمال مسار الزيارة يرجع الزائر إلى الركن الشمالى الغربى لحفرة أساسات معبد خنوم ويتبع من هناك علامة التوجيه المشيرة إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٨، حيث ينزل سلّمين حديثين ليجد نفسه فى شارع كبير لعله كان أكبر شوارع إلفنتين القديمة. وكان الشارع يمتد من خليج الميناء فى الشمال صاعداً إلى وسط المدينة فى الدولتين الوسطى والحديثة حيث كان قلب المدينة يقع على مستوى أعلى من الأرض. وهذا يعنى أن هذا الشارع قد استمر استخدامه حوالى ١٥٠٠ عام، ومع التجديدات المستمرة للمبانى والمساكن على جانبيه ارتفع مستوى الشارع أيضاً وتم توسيعه فى الدولة الحديثة إلى ضعف عرضه. وإذا التفت الزائر إلى الوراء يستطيع إن يرى فى القطاع الأثرى الذى يزيد إرتفاعه عن خمسة أمتار تتابع الأرضيات العديدة للشارع بعضها فوق بعض.

وعند اللوحة الإرشادية رقم ١٨ يتواجد الزائر فى مستوى المدينة السكنية الشمالية التى ترجع لأواخر الدولة الوسطى (حوالى ١٨٠٠ ق.م) (شكل رقم ١٠)، وأمام مدخل مبنى كُرّس لتبجيل أحد حكام المدينة من عهد الملك ببى الثانى (أواخر الأسرة السادسة حوالى ٢٢٠٠ ق.م) فلأسباب غير معروفة حتى الآن ترتبط غالباً بالشخصية المتميزة والأعمال الجليلة للحاكم حقاإيب فقد تحوّل بعد وفاته إلى ما يشبه القديس الحامى لإلفنتين وتزايدت مظاهر تبجيله مع مرور الزمن حتى وصلت حد التأليه، ولم تقتصر مظاهر التبجيل على مقبرته المقامة فى منطقة قبة الهواء، ولكن إمتدت إلى المدينة أيضاً ولعلها بدأت فى مبنى من الطوب اللبن فى جنوب شرق المدينة من المحتمل إنه كان محل السكن والمقر الرسمى لحقاإيب. وفى بداية الأسرة الحادية عشر (حوالى ٢١٠٠ ق.م) أقيم مبنى جديد لتبجيله فى الإمتداد الجديد للمدينة جهة الغرب.

ويرى الزائر أمامه البناء الأحدث الذى حل محل مبنى الأسرة ١١، والذى يرجع لبدايات الأسرة ١٢ (حوالى ١٩٥٠ ق.م). وعند النظر إلى داخل المبنى توجد فى مواجهة الناظر مقصورتين صغيرتين اليمنى بها تمثال لحقاإيب واليسرى بها تمثال للحاكم سارنبوت الأول منشئ هذا المبنى فى الأسرة ١٢. وإلى اليمين من المقصورتين يوجد مبنى من الطوب اللبن له ثلاث مداخل ربما كان لأغراض التخزين، وعند طرفه الأيمن بقايا سقف مقبى. وعلى اللوحات الأربع التى تتقدم المقصورتان يتحدث سارنبوت الأول عن إقامة مبنى تبجيل حقاإيب ويعطى توجيهاته فيما يتعلق بالطقوس التى تقام فيه.

وخلال القرون الثلاثة التالية أقام حكام أخرون مقاصير تضم تماثيلهم داخل مبنى تبجيل حقاإيب، فى البداية فى الجانب الشمالى ثم فيما بعد أيضاً فى الجانبين الجنوبى والغربى للمبنى. وقد حرص كبار الموظفين المحليين وغيرهم من الموظفين الذين كانوا يأتون فى مهمات إلى إلفنتين أو الذين كانوا يمرون

عليها أثناء توجههم إلى النوبة على أن يقيموا فى مبنى تبجيل حقايب تمثالاً لهم أو على الأقل لوحة وإستمر ذلك حتى بداية الدولة الحديثة حوالى ١٦٠٠ ق.م عندما بدأت مظاهر تأليه وتبجيل حقايب تخفت.

ويُعرض فى كل من متحفى الجزيرة والنوبة بأسوان عدد من التماثيل، التى تعد من أبرز المكتشفات التى عُثِرَ عليها فى مبنى تبجيل حقايب أثناء الحفائر التى تمت فيما بين عامى ١٩٣٢ و١٩٤٦ م والتى أخرجت كماً هائلاً من المكتشفات. وقد وضعت فى مقاصير المبنى عند إعادة إقامته مستنسخات من أهم التماثيل.

منازل ترجع لأواخر الأسرة ١٢ (اللوحة الإرشادية رقم ١٩)

يتتبع الزائر إمتداد الشارع المتسع فى إتجاه الشمال، وأثناء سيره يلاحظ الحارة الضيقة التى تنحرف يميناً جهة الغرب،ويعبر الزائر ركن المنزل الأول جهة اليمين ثم يتبع علامة التوجيه المشيرة إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٩، ويشاهد ناحية اليمين أجزاء من الطبقة العليا من أساسات معبد ساتت، الذى يرجع إلى عصر الأسرة ١٨، والتى وضعت هنا، فى إنتظار إستكمال دراستها وترتيبها وإعادة تركيبها.

وعندما يصل الزائر إلى اللوحة الإرشادية رقم ١٩ يستطيع رؤية منزلين من أواخر الأسرة ١٢ (حوالى ١٨٥٠ ق.م) تم تغطية ما تبقى من جدرانهما بطبقة من الطوب اللبن الحديث لحماية البقايا الأصلية. والمنزلان يمثلان الجزء الجنوبى من مجمع سكنى، كان يضم على الأقل منزلين أخرين جهة الشمال. (الشكل رقم ٩).

ويمثل المنزلان نموذجين شائعين لعمارة المساكن فى ذلك العصر، المبنى الأيمن رقم H69 الذى يقع مدخله فى الركن الجنوبى الغربى يعد من طراز "منزل الفناء"، تتجمع فيه الحجرات على ثلاثة جوانب حول فناء كبير. أما المنزل الأيسر رقم H70 الذى أضيف فى وقت لاحق فينقسم إلى ثلاثة قطاعات متتالية القطاع الأوسط عبارة عن صالة أعمدة. الفناء المكشوف فى المنزل رقم H69 وصالة الأعمدة فى المنزل رقم H70 يمثلان فى كل من المنزلين نطاق المعيشة الرئيسى، حيث تم العثور فيهما على آثار نشاطات عديدة (أماكن لطحن الدقيق ومواقد وقواعد لأوانى حفظ الماء).

وهناك مصطبة من الحجر لا تزال قائمة جزئياً فى فناء المنزل H69، ربما كان لها مظلة لتُستخدم للاستراحة. وتقريباً نفس المكان فى صالة الأعمدة فى المنزل H70 نجده محاط بسور منخفض من

الطوب اللبن. فيما عدا ذلك يصعب تحديد الغرض من الغرف المختلفة. من المؤكد فقط أن الحجرة الصغيرة فى الركن الشمالى الغربى فى المنزلين كان يصنع فيها الخبز، وأن إحدى الحجرات الخلفية كانت تستخدم لمبيت الماعز.

المنزل الأصغر حجماً رقم H70 كان له طابقاً علوياً، يشير إلى ذلك بقايا درج فى الجانب الجنوبى لصالة الأعمدة. والطابق الثانى إما انه كان عبارة عن حجرة للمبيت لها ثلاث جوانب مبنية فقط والجانب الرابع مفتوح أو عبارة عن نوع أخر من الحجرات ذات الأعمدة. حيث عُثِرَ على قواعد أعمدة فى أنقاض الطابق الثانى المنهار.

فى الحجرة التى تقع إلى اليسار من مدخل H70 وجد تحت أرضية المنزل مباشرة إناء فخارى كبير به رفات طفل رضيع يرجع لزمن سكنى المنزل. ثم تكررت مثل هذه الدفنات مع انهيار المنزل وإستخدامه بواسطة أهل المنازل المحيطة به كمكان للقمامة.

ومن أبرز ما تم الكشف عنه فى هذين المنزلين فيما يتعلق بالأدوات والفخار... إلخ، إناء من الفخار عليه كتابات من الداخل والخارج تم العثور عليه فوق أرضية حجرة أسفل فناء المنزل رقم H69 (معروض حالياً بملحق المتحف فى دولاب العرض الزجاجى رقم ٢٨) وتضم الكتابات قائمة طويلة لمواد خام ومواد غذائية وأسماء الأشخاص الذين وزعت عليهم تلك المواد. ويُستنتج من تلك الكتابات، أنه كانت هناك صلة بين صاحب هذا المنزل ومركز التخزين والتوزيع (لوحة إرشادية رقم ٢٠) المواجه للمنزل.

مركز تخزين وتوزيع يرجع لأواخر للأسرة ١٢ (اللوحة الإرشادية رقم ٢٠)

فى مواجهة المنزل H69 عند أطراف المدينة، بحدودها كما كانت فى الدولة الوسطى، يوجد مركز تخزين يرجع إلى أواخر الأسرة ١٢، ويعد آخر حلقة فى تسلسل نظام التخزين والتوزيع الحكومى (شكل رقم ٩). كان يتم إمداد هذا المركز بالمؤن، خاصة المواد الغذائية الأساسية كالدقيق والأسماك حيث كان يتم تسجيلها وحفظها لفترة وجيزة حتى يتم توزيعها كأجر لطبقة معيّنة من العمال. وقد كانت معظم الحجرات التى تحيط بفناء الأعمدة على مدى سنوات الإستخدام الطويلة لذلك المركز، تحتوى على وسائل تخزين مختلفة. وبعد كل فتح للمخازن كان لابد من إغلاقها وختمها حيث كان الموظف المختص يسجّل مسئوليته عن عملية الفتح والإغلاق بواسطة طبع خاتمه على قطعة من الطين المبتل توضع على موضع إغلاق المخزن. وقد تم العثور على المئات من هذه الأختام فى أكوام صغيرة للقمامة داخل مبنى المركز. وكان العاملون فى المركز من طبقة العمال المنتفعين به والذين كانوا

يتناوبون هذا العمل طبقاً لنظام تناوب موضوع، فلم يكن هناك سوى عدد قليل من الحراس الدائمين، الذين كانوا يسكنون غالباً فى برج متعدد الطوابق كان يقع فى الركن الشمالى للمركز. هذا البرج عبارة عن بناء مربع فى وسطه أسطون غالباً كان يلتف حوله درج يؤدى إلى الأدوار العلوية للبرج والتى كان يسهل منها مراقبة وحراسة مركز التخزين.

ويظهر خلف مركز التخزين والتوزيع جهة اليسار هرم مدرج صغير مبنى من كتل الجرانيت الغليظة يبلغ إرتفاعه ١٢ متر، وقد أقيم فى أواخر الأسرة الثالثة (حوالى ٢٦٠٠ ق.م) ولا يوجد به حجرة دفن، مثله فى ذلك مثل غيره من تلك الأهرامات التى أقيمت فى نفس الفترة الزمنية فى مدن رئيسية أخرى فى مصر العليا ويبدو إنه كان رمزاً للسلطة الملكية وربما كان وجود الهرم يرتبط بوجود استراحة ملكية أو ضيعة ملكية هناك. ففى إلفنتين لا تزال هناك على بعد قليل من الهرم بقايا من أسوار ذلك المبنى الملكى. ويجب ملاحظة موقع الهرم عند الطرف الغربى للجزيرة الغربية، التى كانت حينذاك لا تزال غير مأهولة بالسكان، وبالتالى كان الهرم قريباً جداً من النهر.

وإلى اليمين من مركز التخزين والتوزيع توجد أجزاء من قوائم أبواب حجرية وأعتاب علوية لأبواب وأعمدة معروضة، تشبه تلك التى أصبحت شائعة فى منازل كبار رجال الدولة فى الدولة الحديثة (منذ حوالى ١٥٥٠ ق.م) والتى حلت محل مثيلاتها الخشبية. وأقدم الأمثلة فى إلفنتين حتى الآن هو جزء من قائم باب ضخم معروض أقصى اليسار يرجع للأسرة ١٣ (حوالى ١٧٥٠ ق.م)، أى أنه لا يفصل بينه وبين زمن بناء المنزلين H69 و H70 سوى فترة وجيزة. وطبقاً للنص المنقوش على القائم فإنه من منزل لرجل يدعى إيب إعيو يأخذ شرفياً لقب الأمير ويشغل وظيفة قائد الحصن. أما الأعمدة الثلاثة المعروضة فهى ترجع للأسرة ١٧ (حوالى ١٦٠٠ ق.م)، واحدة منها كاملة وأخرى عليها نص يذكر القاضى أياً. وهناك قوائم أبواب أخرى ليست كلها معروضة هنا، تذكر أن مالك المنزل الذى أتت منه، هو الكاهن الأول لخنوم أو الكاتب الملكى المشرف على الخزانة، وتتضح من ذلك الطبقة الإجتماعية التى كانت تستطيع أن تزين منازلها بمثل هذه العناصر المعمارية المكلفة.

كنيسة من القرن السادس الميلادى (اللوحة الإرشادية رقم ٢١)

إستكمالاً لمسار الزيارة يقوم الزائر بمشاهدة عدد من الأبنية، حالت أسباب مختلفة دون إقامتها فى مواقعها الأصلية (اللوحات الإرشادية أرقم ٢١ إلى ٢٦). أولى تلك الأبنية هى كنيسة ترجع للقرن السادس الميلادى كانت تقع استناداً لمواقع الكشف عن عناصرها المعمارية فى قلب المدينة السكنية المسيحية التى كانت تُشكّل أعلى طبقات التل الأثرى لمدينة إلفنتين والتى لم تعد موجودة الآن.

تلك الكنيسة هى غالباً التى وصفها المؤرخ العربى أبو صالح الأرمنى (فى القرن ١٣ الميلادى) بأنها "كبيرة وجميلة" ربما استناداً إلى مصادر أقدم، ذلك فى سياق حديثه عن إلفنتين. ولم يبق منها سوى قواعد الأعمدة وبعض الأعمدة وعناصر معمارية أخرى من الجرانيت. ومع ذلك قد كانت تلك العناصر كافية لتحديد تخطيط الكنيسة. وكبر حجم الكنيسة يعطى تصوراً عن المكانة الكبيرة التى تمتعت بها إلفنتين فى بداية العصر المسيحى.

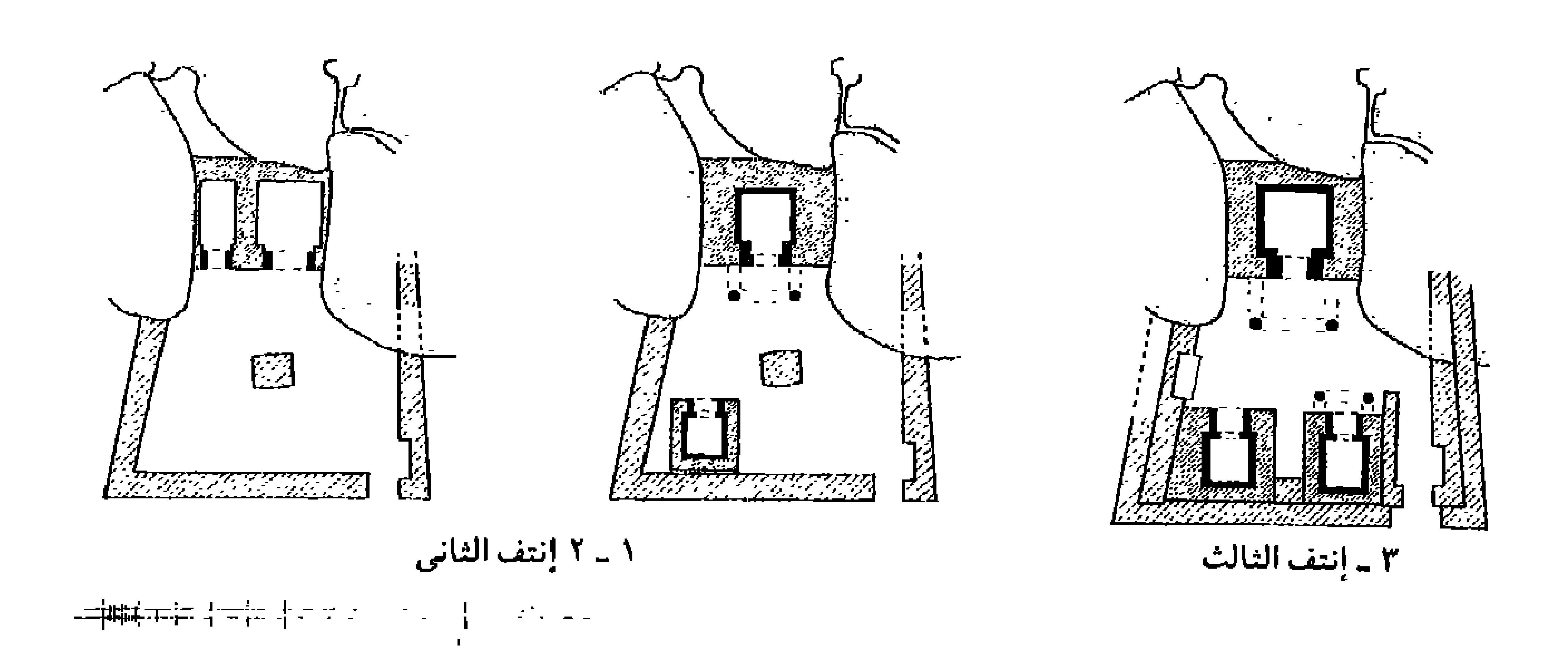
وأثناء التوجّه إلى اللوحة الإرشادية رقم ٢٢ يشاهد الزائر على يمينه عناصر معمارية من المعبدين X و Y (انظر الشكل رقم ٤) الذين لا نستطيع تحديد مواقعيهما الأصلية بدقة. وبعض تلك العناصر المعمارية مزيّنة بنقوش من عهد القيصر الرومانى نيرون.

أبنية أضافها كل من إنتف الثانى والثالث لمعبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ٦ (اللوحة الإرشادية رقم ٢٢)

عند بلوغ هذا النقطة يكون الزائر قد شاهد من معالم تاريخ معبد ساتت، الذى إمتد لفترة تزيد عن ثلاثة آلاف عام، أحدث بناء وهو الذى يرجع لأواخر العصر البطلمى (اللوحة الإرشادية رقم ١) والبناء الذى سبقه بحوالى ١٣٠٠ عام والذى يرجع للدولة الحديثة (اللوحة الإرشادية رقم ٢)، وكذلك أقدم بناء قائم للمعبد، وهو معبد الأسرة السادسة الذى بنى قبل معبد الدولة الحديثة بحوالى ٨٠٠ عام (اللوحة الإرشادية رقم ٤). وعند اللوحات الإرشادية من ٢٢ إلى ٢٦ تتاح للزائر أيضاً فرصة الإطلاع على مراحل تطور معبد ساتت خلال الدولة الوسطى (شكل رقم ٥).

ومعظم العناصر المعمارية التى ترجع إلى الدولة الوسطى عُثِرَ عليها هى الأخرى فى أساسات البناء البطلمى، وكانت قبل ذلك مستخدمة فى أساسات معبد الدولة الحديثة بل أن العناصر المعمارية لمعبد الأسرة ١١ استخدمت لأول مرة فى أساسات أبنية الأسرة ١٢. ومع ذلك فقد تبقى من تلك العناصر المعمارية التى أعيد استخدامها مرتين أو ثلاثة ما يكفى على الأقل لتحديد تخطيط المعبد فى تلك الفترة. وحيث إنه يكاد لا يوجد بقايا معابد أقيمت فى مدن سكنية من هذه الفترة فى سائر أنحاء مصر فقد بدا من الواجب قدر المستطاع إيضاح وإعادة تركيب البقايا الموجودة فى إلفنتين.

كما توضح تلك البقايا بشكل مثير للإهتمام التحوّل التدريجى فى عمارة المعابد فى المدن السكنية، من إستخدام الطوب اللبن كمادة للبناء فى الدولة القديمة إلى إستخدام الحجر الصلب إبتدأ من الأسرة ١٢ فى كافة أنحاء مصر.



شكل ١٠ : التوسيعات التى طرأت على معبد ساتت الذى يرجع للأسرة ٦ فى عهدى إنتف الثانى والثالث

اكتفى كل من إنتف الثانى وإنتف الثالث من ملوك الأسرة الحادية عشر (حوالى ٢١٠٠ ق.م)، الذين اقتصرت سيطرتهم على مصر العليا (الصعيد)، بإجراء تجديدات على معبد ساتت القائم منذ الأسرة السادسة (لوحة إرشادية رقم ٣)، والذى كان مشيّداً من الطوب اللبن، حيث توسعاً فى استخدام الأحجار الصلبة لإقامة العناصر المعمارية الحاملة فى المعبد وكذلك لكساء الجدران (شكل رقم ١٠). ويستطيع الزائر عند اللوحة الإرشادية رقم ٢٢ أن يتتبع ذلك التوسع فى إستخدام الحجر كما يلى:

فنجد إنتف الثانى قد قام بالتجديد فى التجويف الصخرى الذى كانت تقام به الطقوس التعبدية وتبقى من السور الأمامى لهذا التجويف بقايا كتفى باب من الحجر عليهما نصوص تختص بخنوم وساتت. ويرجع إلى عهد إنتف الثانى أيضاً المبنيان التاليان اللذان أعيد تركيبهما جزئياً، واللذان إستخدم فيهما لأول مرة الحجر لكساء الجدران الداخلية أيضاً، وهما: مقصورة لساتت لها سقيفة تحملها أعمدة. ونظراً لأن تلك المقصورة ملأت التجويف الصخرى بالكامل، فقد أقيمت مقصورة خاصة بخنوم، كان مكانها فى فناء المعبد. وإلى انتف الثالث ترجع المبانى الثلاثة التالية: تجديد لمقصورتى ساتت وخنوم، وإقامة بناء ثالث له سقيفة تحملها أعمدة كان يقف فيه غالباً تمثال للملك.

معبد ساتت من عهد الملك منتوحتب الثانى (اللوحة الإرشادية رقم ٢٣)

أول بناء جديد شامل لمعبد ساتت منذ بدايات الأسرة السادسة (لوحة إرشادية رقم ٤) أقامه الملك منتوحتب الثانى (حوالى ٢٠٢٥ ق.م) أول ملوك الدولة الوسطى الذى بسط سلطانه على مصر كلها من جديد. فتم هجر التجويف الصخرى نهائياً وإقامة المعبد الجديد على مستوى أرضى يرتفع ٢,٥٠ متر عن المستوى القديم وذلك تماشياً مع مستوى أرضية المبانى الجديدة المحيطة بالمعبد (شكل رقم ٥). وهذا المعبد الجديد بفناءه الأمامى كان يقع بالضبط فوق المعبد القديم. ولكن المعبد أصبح ممتداً نحو شمال بعض الشئ ليضم فناءاً كبيراً يحيط به رواق أساطين ويتوسطه حوض ماء يوضح الهدف من هذا الجزء من المعبد. ألا وهو الاحتفال بقدوم فيضان النيل، الذى كانت تتحكم فى قدومه فى ذلك الوقت، على الأقل فى إلفنتين، الإلهة ساتت وليس خنوم.

والمعبد الجديد يعد أول معبد ضخم فى تاريخ تطور معبد ساتت. ويُلاحظ أن إستخدام الحجر الصلب فى البناء زاد عما كان فى أبنية الملوك الأناتفة زيادة واضحة، إلا انه ظل مقصوراً على العناصر المعمارية التى وجد من الضرورى صلابتها، حتى المبنى الرئيسى للمعبد لم تبن فيه سوى جدران الواجهة وجدار المدخل إلى قدس الأقداس من الحجر، بينما بنيت كل الجدران الأخرى من الطوب اللبن، الذى كان يُكسى بألواح من الحجر. كما ظهرت فى هذا المعبد لأول مرة مناظر منقوشة على الجدران، تبقى منها على الجدار الشمالى للحجرة الأمامية منظر متكامل يُظهر الإله الطيبى منتو يصطحب الملك منتوحتب الثانى إلى الألهة ساتت.

ثم قام منتوحتب الثالث (حوالى ٢٠٠٠ ق.م)، الذى خلف منتوحتب الثانى على العرش بتجديد حجرات المعبد، حيث إستبدل ألواح الحجر الرملى التى كانت تكسو جدران الطوب اللبن لتلك الحجرات بكتل صغيرة من الحجر الجيرى، زينت بنقوش على درجة عالية من الجودة والدقة. ولم يتبق من تلك الكتل سوى عدد قليل، منها كتلة فى المتحف المصرى بالقاهرة.

استراحة المركب من عهد سنوسرت الأول (اللوحة الإرشادية رقم ٢٤)

لم يمر على إنشاء معبد ساتت فى عهد منتوحتب الثانى سوى مائة عام حتى قام سنوسرت الأول بإجراء تعديلات وتوسيعات واسعة النطاق على المعبد. حيث أصبح المعبد نفسه (اللوحة الإرشادية رقم ٢٥) وعدد من المبانى التابعة له مقامة للمرة الأول بالكامل من الحجر. يشاهد الزائر من تلك المبانى عند اللوحة الإرشادية رقم ٢٤ مبنى صغير يبدو نظراً لأنه مفتوح من جانبيه القصيرين أنه كان يُمثل

استراحة للمركب الإلهية عند خروجها فى موكب من المعبد. الموقع الأصلى الدقيق لتلك الاستراحة لا يمكن تحديده ولكن من المرجّح إنها كانت تقع فى المنطقة المطلّة على النهر التى تتقدّم معبد ساتت وإنها كانت النقطة التى تنتهى إليها مواكب الأعياد المتجهة إلى النيل.

وطبقاً لنوع زينة الجدران الخارجية يبدو أن ذلك البناء الصغير كان محاطاً من الجهات الأربعة بصف من الأساطين. ومن المناظر التى لا تزال محفوظة، تعد مناظر الجدارين الداخليين جديرة بالملاحظة: فنجد على أحد الجدارين بقايا ما يبدو أنه منظر مركب مقدسة يحملها كهنة بها تمثال للإلهة، وعلى الجدار الأخر منظر لسنوسرت الأول وساتت يجلسان فى مواجهة بعضهما البعض ولكن المسافة بينهما قصيرة لدرجة تجعل المرء يود أن يفكر فى إعتبار هذا المنظر تمثيلاً لطقسه إخصاب، ربما ترتبط بنزهة لهما فى النيل.

معبد ساتت من عهد سنوسرت الأول (اللوحة الإرشادية رقم ٢٥)

معبد سنوسرت الأول الجديد شُيّد فى نفس مكان معبد منتوحتب الثانى قبل هدمه. ولكن المعبد الجديد كان عبارة عن بناء واحد مسقوف، بدلاً من المبنى الرئيسى والفناء الأمامى للمعبد السابق (شكل رقم ٥). وقد أمر سنوسرت الأول باستخدام الحجر الجيرى الذى حبذه فى معظم منشآته كمادة للبناء. ولكن ذلك سببّ مشاكل إضافية أثناء عملية إعادة البناء الجزئية الماثلة أمام عينى الزائر: فنظراً للتكوين الطبيعى الهش للحجر الجيرى تعرضت العديد من الكتل الباقية أثناء إعادة استخدامها مرتين فى الأزمنة السابقة لقدر كبير من التلف تطلّب عمليات ترميم مضنية حتى يتثنى نقلها لاستخدامها فى إعادة البناء، وحيث أنها تتأثر بشدة نتيجة لتذبذب درجات الحرارة كان من الضرورى حمايتها قدر المستطاع من أشعة الشمس المباشرة ولذا أعيد بناء الجدران بحيث تفوق فى الإرتفاع بقدر كبير أعلى العناصر المعمارية المتبقية من المعبد وهو ما يختلف عن أسلوب إعادة بناء معبد ساتت.

وكما كان الحال فى الدول القديمة وحتى فيما بعد فى مبنى المعبد الجديد فى الأسرة ١٨، فإن مدخل معبد سنوسرت الأول يقع يمين المحور الأوسط للمعبد. وإلى يسار المدخل يوجد نص طويل يحتوى على مرسوم للملك سنوسرت الأول يعفى فيه العاملين فى المعبد من الاشتراك فى مشاريع الدولة الأخرى ويحث على تقديس النيل والملك ويختتم بسرد للقرابين التى تقدّم إلى تماثيل المعبد.

المناظر داخل المعبد بصفة عامة تُمثّل الملك يؤدى طقوساً تقليدية، خاصة مناظر الجرية الطقسية أمام ساتت أو عنقت، وإن كانت بقايا النصوص الضئيلة لا تسمح بتحديد الموضوع بدقة. ولكن تجدر

بالملاحظة بقايا منظرين منصبين مباشرة على الطقوس الخاصة بإلفنتين، والتى تعرّف عليها الزائر من قبل فى معبد حتشبسوت (اللوحة الإرشادية رقم ٢):

- على النصف الأيمن للجدار الشمالى لحجرة العمودين لا تزال هناك كسرات صغيرة من منظر يمثل النزهة فى النيل؛

- وعلى النصف الأيمن للجدار الجنوبى يوجد منظر كامل إلى حد كبير لعيد قدوم الفيضان. والمنظر يشغل هنا - بالمقارنة بمساحة أسطح جدران المعبد ككل - حيّزاً كبيراً، بالإضافة إلى ذلك يُظهر الاهتمام بالتفاصيل الأهمية التى كان لا يزال هذا العيد يمثلها بالنسبة لدور الإلهة ساتت فى تلك الفترة. وعند مشاهدة التركيبة الكاملة لمناظر الجدار الجنوبى نجد على نصفه الأيسر الملك يدخل إلى معبد ساتت - الممثل كمقصورة تعلوها الإلهة - ليشارك بعد ذلك جالساً على عرشه فى طقوس العيد المتمثلة فى: بدء الاحتفال بقدوم فيضان النيل بنزول ثلاثة كهان إلى حوض ماء ويعلو هذا المنظر مظاهر الإحتفال بالعيد المتمثلة فى نحر الذبائح والرقص وتقديم القرابين؛ وإلى اليسار من ذلك يختتم المنظر بشريط جانبى رأسى يحتوى على منظر نشر الخبر السعيد فى جميع أنحاء مصر.

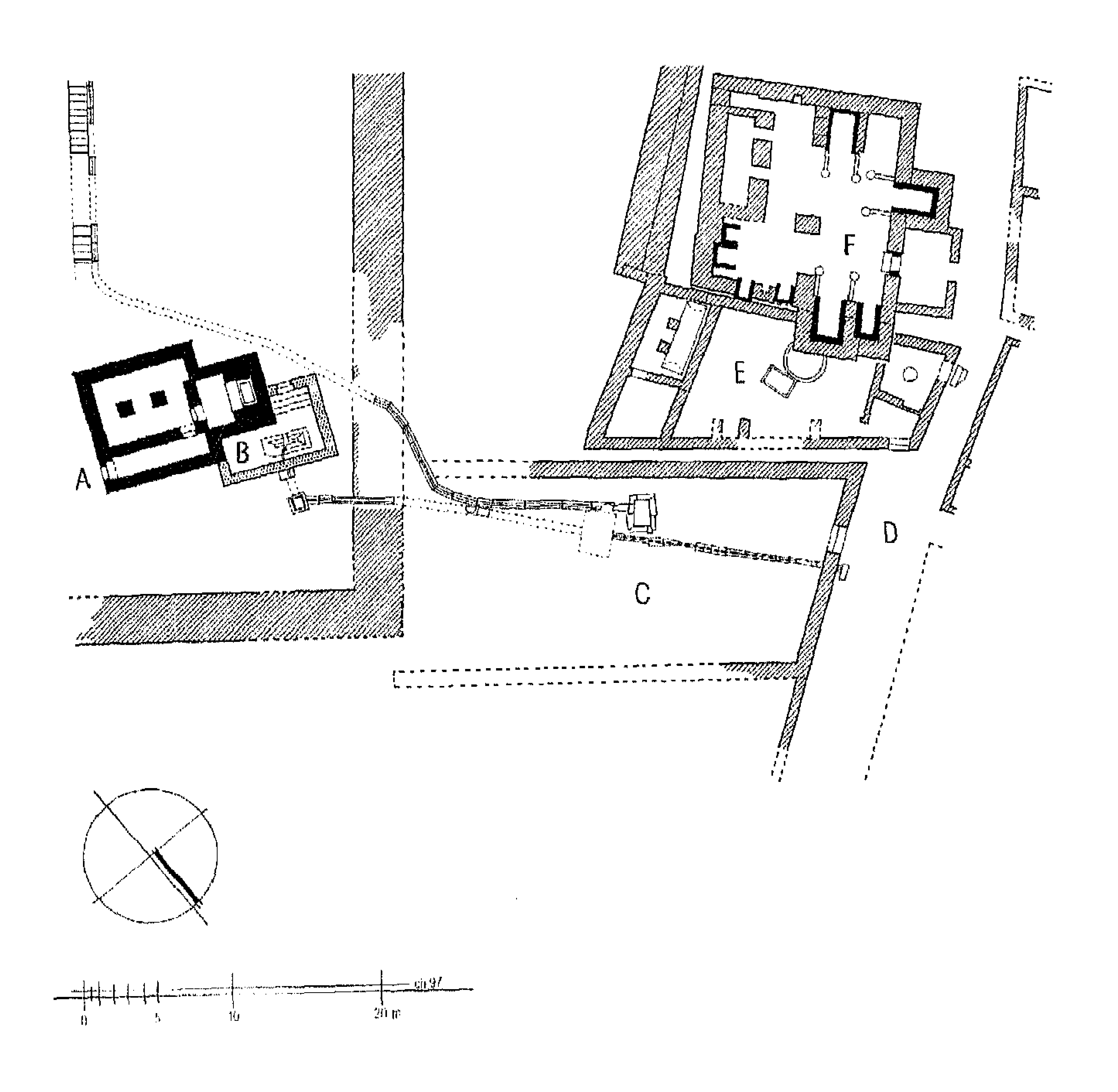
وتجب الإشارة إلى بعض النقاط الأخرى:

- الكتل الست الكبيرة فى النصف الأيسر من الجدار الجنوبى، كانت أربع منها تُكوّن كتلة واحدة، والكتلتان الأخرتان كانتا أيضاً تكونان كتلة واحدة. ولم يتم تقطيع تلك الكتل إلى كتل أصغر إلا عندما هُدِمَ المعبد.

- النسخة الأصلية من النقش الذى يمثل الملك سنوسرت الأول على الجانب الغربى من العمود الشرقى - وهو النقش الوحيد المتبقى من المعبد الذى يمثّل الملك - والتى استخدمت بعد حوالى ٢٠٠٠ عام عند إقامة مبنى المعبد البطلمى كخلفية لنقش نص تأسيسى ديموطيقى، وضع فى سفلى طبقات أساسات المبنى الرئيسى للمعبد؛ تلك النسخة الأصلية معروضة حالياً فى ملحق متحف الجزيرة.

- يقص سنوسرت الأول فى النص الطويل المنقوش إلى اليسار من المدخل إلى قدس الأقداس كيف ظهرت له ساتت - على ما يبدو فى الحلم - وحثته على تجديد معبدها المتهالك فى إلفنتين وإنه استجاب لهذا المطلب.

- التمثال الجماعى الذى لم يتبق منه سوى الجزء الأسفل والذى يقف عند الجدار الخلفى لقدس الأقداس، كان يمثّل طبقاً للنصوص المنقوشة عليه سنوسرت الأول بين ساتت وعنقت، ونظراً لحجمه فقد كان غالباً هو تمثال الإلهة الذى وضعه منشئ هذا البناء الجديد للمعبد بداخله.



شكل ١١ : منشآت سنوسرت الأول الخاصة بعيد قدوم فيضان النيل

A معبد ساتت
C فناء الاحتفالات
E منزل الكهان
B الحجرة الطقسية الملحقة بالمعبد
D الشارع الكبير
F مبنى تبجيل حقاإيب

منشآت سنوسرت الأول الخاصة بعيد قدوم فيضان النيل (اللوحتان الإرشاديان ٢٦ و ٢٧)

فى إطار إقامة سنوسرت لمبنى المعبد الجديد أدخل تعديلات على المنشآت الخاصة بالاحتفال بعيد قدوم فيضان النيل فقام من ناحية بتصغير المكان الخاص بطقوس الكهنة داخل حرم المعبد ومن ناحية أخرى أتاح لعدد أكبر من الناس فرصة الإشتراك فى الاحتفالات بإقامة فناء خاص بالاحتفالات.

لمشاهدة تلك المنشآت يتتبع الزائر علامات التوجيه المؤدية إلى اللوحة الإرشادية رقم ٢٦ (مكان مخصص للطقوس ـ الأسرة ١٢) فيصّل إلى الركن الجنوبى الغربى من المعبد المقام من الحجر الجيرى حيث تتصل به حجرة غير مسقوفة تقع أرضيتها على مستوى منخفض عن أرضية المعبد وتوصّل إليها ثلاث درجات سلّم. والأرضية فى معظمها عبارة عن حوض ضحل منحوت من كتلة واحدة من الحجر الجيرى تطابق بوضوح الحوض الممثّل فى منظر الاحتفال بعيد قدوم فيضان النيل فى صالة العمودين فى المعبد. ومن الدلائل الأخرى على أن طقوس الاحتفال بقدوم فيضان النيل كانت تتم هنا وجود مجرى للماء يصّل بين الحوض وبين حوض أخر يقع خارج المنشأة يصّب فيه الماء ليصل إلى حوض المعبد. وهذا الحوض الخارجى ـ الذى تُرِكَ فى موقعه الأصلى لحالته الهشة ـ لا يزال يحتفظ بسدادة الحجر الجيرى التى كانت تمنع تسرّب الماء حتى لحظة معيّنة أثناء الطقوس الدينية يندفع فيها الماء ليملأ بسرعة كبيرة الحوض الضحل، بل غالباً ما كان يغمر الحجرة كلها كعلامة لفيضان غنى. ويلاحظ فى هذا الإطار أن الكتل السفلى لجدران الحجرة ليست مبنية فوق أرضيتها بل تتخذ شكل حرف الـ L الأفرنجى وتمثل جزء من الأرضية (ربما لتمنع تسرب الماء؟)

أما المنشأة الثانية وهى فناء الإحتفالات الذى لا يزال فى موقعه الأصلى فيطل عليه الزائر عند اللوحة الإرشادية رقم ٢٧. وهو فناء واسع محاط بسور من الطوب اللبن الذى يمتد من السور الخارجى المحيط بمعبد ساتت إلى الشارع الكبير. والمدخل من هناك لا يزال موجوداً، وغالباً كان هناك مدخل أخر من جهة المعبد (شكل رقم ١١).

أرضية الفناء التى لا يزال فيها جزء من التبليط الأصلى بالطوب اللبن تنحدر متماشيةً مع طبيعة الأرض هنا جهة الغرب. الحوض الموجود داخل الفناء ومجرى الماء التابع له الذى كان فى الأصل مغطى يرجع لمرحلة تجديد تالية فى الأسرة ١٣، كان فيها مصدر الماء الذى يجرى إلى الحوض الذى يُصب فيه الماء ويُحجب حتى لحظة إحتياجه يقع أعلى الدرّج الموصّل من معبد ساتت إلى قلب المدينة الذى يقع على مستوى أعلى. عند تجديد المعبد فى عهد سنوسرت الأول كان الماء يُصب مباشرة فى الحوض الذى كان يندفع منه الماء إلى الحوض الضحل داخل الحجرة الطقسة الملحقة بالمعبد (اللوحة الإرشادية رقم ٢٦). فى تلك الفترة كان الحوض الخارجى ومجرى الماء يقعان بإنخفاض قدره حوالى ٦٠ سم عن التجديد الذى حدث بعد ٢٠٠ عام بواسطة الأسرة ١٣.

الفناء أقيم بلا شك ليسمح لعدد أكبر من أهل إلفنتين بالمشاركة فى عيد قدوم الفيضان. ولكن قد يشير إلى عدم استيعاب الفناء لكل أهل المدينة ـ على الأقل فى عهد سنوسرت الأول ـ وجود مجرى ثانى ضيق للماء يؤدى من الحوض إلى السور الغربى للفناء وينتهى على جانبه الخارجى أى فى الشارع المتسع.

الدرج الرومانى الكبير (اللوحة الإرشادية رقم ٢٨)

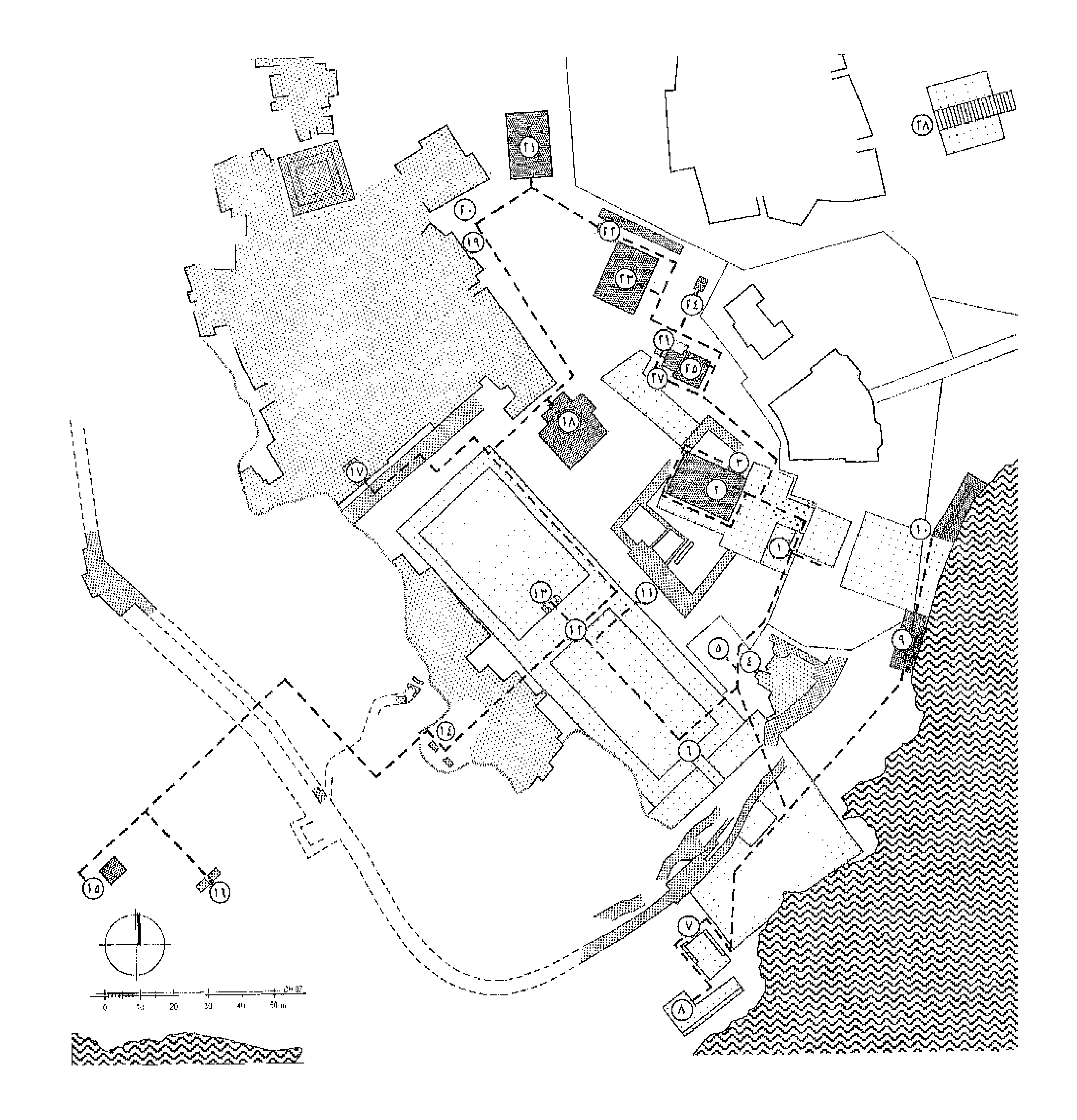
على بعد حوالى ٥٠ متر شمال حديقة المتحف يوجد على حافة القرية درّج كبير يرجع للعصر الرومانى، يفضّل زيارته قبل زيارة المدينة الأثرية أو بعد الإنتهاء من زيارتها. وقد حفظت ترسيبات طمى النيل التى غطت الدرّج درجاته السبعون فى حالة جيدة. وكان الدرج غالباً لا يستخدم إلا فى الاحتفالات، كرابط بين المرسى ومنطقة المعابد (انظر الشكل رقم ٤).

وتشير المعايير المنقوشة على الجدار الشمالى للدرّج إلى دور طقسى. وطبقاً لتوجهها قد ترتبط بالإضافة إلى ذلك بتواريخ التقويم المصرى القديم، وهو ما إن صح يجعل تاريخ إنشاء الدرّج عام ١٣٩ ميلادياً، وهو العام الثانى من حكم القيصر الرومانى أنطونيوس بيوس. وجدير بالملاحظة أيضاً نقش على الجدار الشمالى للدرّج يمثّل إله نيل متجهاً إلى اليسار، وتوازى حافة النقش من أسفل إلى حد كبير ارتفاع الفيضان المرجو لإلفنتين؛ النقش المقابل الذى كان على نفس الارتفاع على الجدار الجنوبى محفوظ حالياً فى المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية.

ويعطينا موقع الدرّج تصوّر لمدى إمتداد منطقة معابد إلفنتين فى العصور المتأخرة: حيث كانت المنطقة تضم إلى جانب المعابد الضخمة الخاصة بخنوم وساتت واستراحة المركب المقدسة التى أقامها أمنحتب الثالث فى عصر الأسرة ١٨، معبدين يرجعا للعصر البطلمى الرومانى، نطلق عليهما إصطلاحاً معبد X ومعبد Y. ولم يتبق منهما سوى عدد كبير من الكتل الحجرية المتفرقة، ولا نستطيع تحديد مواقعهما الأصلية بالضبط. ولكن من المرجّح، طبقاً للنقوش الباقية، إن المعبد X كان مقاماً تقريباً فى مكان فناء الاحتفالات القديم (اللوحة الإرشادية رقم ٢٧)، وأن المعبد Y، الذى أكمله القيصر نيرون (٥٤ - ٦٨م)، كان مقاماً بالقرب من الدرّج الكبير (شكل رقم ٤).

شكل ١٢ : خريطة توضح مسار الزيارة

١ المعبد البطلمي الروماني المكرّس للإلهة ساتت
٢ معبد الإلهة ساتت الذى يرجع للأسرة ١٨
٣ معبد الإلهة ساتت الذى يرجع للأسرة ٦
٤ قلعة العصر العتيق وسور المدينة والمنازل التى ترجع للدولة القديمة
٥ عناصر معمارية من معبد خنوم فى الدولتين الوسطى والحديثة
٦ معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة : الصرح
٧ مقياس النيل الخاص بمعبد الإله خنوم
٨ المنصة الجنوبية لشرفة معبد خنوم
٩ معبد للنيل (؟)
١٠ مقياس النيل الخاص بمعبد الإلهة ساتت
١١ منظر عام لجبانة الكباش المقدسة
١٢ معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة : الصالة الأمامية لبطليموس الثامن
١٣ معبد خنوم الذى يرجع للعصور المتأخرة : المبنى الرئيسى للمعبد من عهد نختنبو الثانى
١٤ بوابة أمنحتب الثانى ومنظر عام للقطاع الجنوبى من المدينة الأثرية
١٥ معبد كلابشة المبكر
١٦ بوابة أجوالة Ajuala
١٧ منظر عام للمدينة الأثرية
١٨ مبنى تبجيل حقايب
١٩ منازل ترجع لأواخر الأسرة ١٢
٢٠ مركز تخزين وتوزيع يرجع لأواخر الأسرة ١٢
٢١ كنيسة من القرن السادس الميلادى
٢٢ أبنية أضافها كل من إنتف الثانى والثالث لمعبد ساتت الذى يرجع لعصر الأسرة ٦
٢٣ معبد ساتت من عهد الملك منتوحتب الثانى
٢٤ استراحة المركب من عهد سنوسرت الأول
٢٥ معبد ساتت من عهد سنوسرت الأول
٢٦ منشآت سنوسرت الأول الخاصة بعيد قدوم فيضان النيل
٢٧ فناء الاحتفالات الخاص بعيد قدوم فيضان النيل
٢٨ الدرج الرومانى الكبير



ملحق المتحف

مبنى متحف إلفنتين الرئيسى أقيم عام ١٩٠٢م كسكن ومقر إدارى لكبير مهندسى خزان أسوان. وقد تم توسيع المبنى جهة الشرق ويضم حالياً قطع أثرية من الحفائر المبكرة فى مدينة إلفنتين الأثرية ومن حفائر النوبة الشمالية التى أجريت قبيل إنشأ خزان أسوان. ويستعد المجلس الأعلى للآثار لإعادة تنظيم المتحف، بعد أن نقل بعض القطع الهامة منه لإثراء متحف النوبة الجديد بأسوان بها. ومن ضمنها عدد من تماثيل مقاصير حقايب (راجع اللوحة الإرشادية رقم ١٨)، وموميا ء كبش عُثِرَ عليها فى جبانة الكباش المقدسة الملحقة بمعبد الإله خنوم (راجع اللوحة الإرشادية رقم ١١).

ولعرض نتائج الحفائر الحديثة المستمرة فى إلفنتين منذ عام ١٩٦٩ م أقيم إلى الشمال من مبنى المتحف الرئيسى خلال عام ١٩٩١/٩٢ م مبنى إضافى. وهناك بعض القطع الأثرية الكبيرة معروضة خارج المبنى بمحازاة واجهته الجنوبية. ومن تلك القطع خمس لوحات أو أجزا ء من لوحات يجدر ملاحظة الثالث والرابع منها من جهة اليمين، فأولهما ترجع لعهد الملك نخاو (أسرة ٢٦ حوالى ٦٠٠ ق.م) ويذكر فيها أسطول مكوّن من عشرين سفينة يبدو أنه قام بقمع إضطرابات للنوبيين. أما اللوحة الأخرى من عهد الملك أوسركون الثانى (أسرة ٢٢ حوالى ٨٥٠ ق.م) فتذكر عملية إعادة تنظيم أملاك المعبد التى أصبحت ضرورية بعد أن كشفت بعثة تفتيشية عن وجود تجاوزات. وضمن بقايا التماثيل المعروضة تُلاحظ الجودة الفنية العالية لتمثال جالس لأحد ملوك الأسرة ٢٦ من الحجر الأسود.

أمام ملحق المتحف إلى اليمين من الدرّج الهابط توجد لوحة للملك سيتى الأول (أسرة ١٩ حوالى ١٣٠٠ ق.م)، وهو الملك الذى أمر بإزالة آثار التشويه التى لحقت بمعابد إلفنتين فى عصر العمارنة (راجع اللوحة الإرشادية رقم ٢) وربما اتصل بذلك نقشه لدعا ء طويل موجه للإله خنوم على لوحته. جهة اليمين توجد بئر عمقها حوالى ١٢ متر محفورة فى صخور الجزيرة الجرانيتية. وطبقاً لأسلوب بنا ء البئر يمكن تأريخها بالأسرة ٢٦ (حوالى ٦٠٠ ق.م). أما الترميمات التى تمت عند حافة البئر من أعلى فهى ترجع للزمن الحديث.

ويظهر خلف البئر، على بعد عدة أمتار، تمثال ملكى يرجع لعصر الأسرة ١٨ نصفه مدفون فى الأرض، يشير إلى مسار طريق المواكب المقدسة القديم، الذى كان يمتد من المينا ء إلى معابد المدينة.

كما كانت هناك استراحة للمركب المقدسة ترجع لعهد الملك أمنحتب الثالث بالقرب من هذا المكان (الشكلان رقمى ٣ و٤)، شاهدها ووصفها ورسمها العلما ء الفرنسيون المرافقين لحملة نابليون على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م)، قبل أن يتم هدمها ونقل جميع أحجارها لإستخدامها فى بنا ء أبنية حديثة فى عام ١٨٢٢ م.

وتُعرض على القاعدة المبنية إلى اليسار من الدرّج الهابط بعض العناصر المعمارية التى ترجع لعصور متأخرة . وإلى اليسار منها يقف عمود من فناء إحتفالات معبد خنوم من عهد أمنحتب الثانى (أسرة ١٨ حوالى ١٤٢٥ ق.م) (راجع اللوحة الإرشادية رقم ٥).

يُقترح على الزائر إتباع المسار التالى لمشاهدة معروضات المتحف:

(١) دولاب العرض الزجاجى الفاصل (أى الذى يقسّم صالة العرض الكبرى للمتحف إلى عدة قاعات) الأيسر: يحوى أربعة تخطيطات توضح تطور مدينة إلفنتين منذ بداياتها الأولى حوالى ٣٠٠٠ ق.م وحتى العصر الرومانى (القرن الثالث الميلادى).

التخطيطات الأربعة توضح المراحل الأساسية لتطور مدينة إلفنتين عبر القرون. ويُلاحظ فى التخطيط الأول أن الجزيرة كانت فى البداية عبارة عن عدة صخور جرانيتية ضخمة متفرقة، لم يكن يظهر منها فى زمن الفيضان فوق سطح النهر سوى صخرتين، الشرقية منهما استقرت عليها تجمعات سكانية منذ عصور ما قبل التاريخ، ثم تكوّنت عليها فى خلال الأسرتين الأولى والثانية (٣٠٠٠ / ٢٧٠٠ ق.م) أقدم مدينة محصّنة فى إلفنتين، أما الصخرة الغربية فقد إستخدمت كجبانة لدفن الأموات.

التخطيط الثانى يوضح كيف إتسعت المدينة القديمة بعد ردم المنخفض الذى كان يفصل بين الصخرتين الكبيرتين، حيث إمتدت المدينة إلى الصخرة الغربية، وإنحصرت الجبانة فى الطرف الشمالى منها. وبالنسبة للتخطيطين الثالث والرابع فيجب ملاحظة الزيادة التدريجية فى حجم المعابد، والأراضى الزراعية والورش الحرفية التابعة لكل منها، خلال الدولة الحديثة (١٥٥٠ - ١٠٨٠ ق.م) ثم فى العصور البطلمية والرومانية (القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادى). وقد أقيم فى تلك العصور الأخيرة، إلى جانب أبنية المعابد الجديدة لكل من خنوم وساتت، معبدين آخرين، لا نستطيع تحديد مواقعيهما بدقة، ونطلق عليهما أصطلاحاً معبدى X وY، وكانا يقعا غالباً شمال شرقى معبد ساتت. كما أقيم الدرج الكبير عند ميناء المدينة ليمثل المدخل الفخم العام إلى حرم المعابد المقدس. ومنذ تلك الفترة على أقل تقدير بدأت الأحياء السكنية والحرفية تمتد فى المنطقة التى توجد فيها حالياً القرية الحديثة.

(٢) دولاب عرض زجاجي يحتوى على نموذج يوضح شكل مدينة إلفنتين الأثرية فى العصرين البطلمى والرومانى (القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادى).

النموذج يعرض تصوراً لإعادة بناء المعابد الكبيرة، ويُظهر النشاط الإنشائى الكبير للعصرين البطلمى والرومانى على ضفة نهر النيل، مع إغفال المعبدين X و Y لعدم معرفتنا الدقيقة لمواقعيهما الأصليين، وإن كنا نعلم أنهما كانا يقعان فى المنطقة الممتدة ما بين معبد ساتت والدرج الكبير الواقع عند الميناء. أما المنازل التى ترجع لنفس هذه الفترة الزمنية فلم يُعثر لها عند بداية الحفائر على بقايا تُذكر، وذلك نتيجة للدمار الذى حل بالطبقات العليا من التل الأثرى. ولذلك يعرض النموذج ما كشفت عنه الحفائر فى أعلى طبقة سليمة (لم تمتد إليها يد العبث والتدمير) من الطبقات العليا للتل الأثرى، وهو عبارة عن بقايا منازل ترجع للأسرة ٣٠ (حوالى ٣٥٠ ق.م) تقع شمال غربى معبد خنوم، وبقايا منازل ترجع للأسرة ١٣ (حوالى ١٧٥٠ ق.م) تقع شمال شرقى المعبد نفسه. ويُلاحظ إختلاف طرز المنازل، فالأخيرة كانت كبيرة نسبياً وكانت عبارة عن طابق واحد، أما منازل الأسرة ٣٠ فكانت أصغر حجماً ومكوّنة من طابقين.

(٣) دولاب عرض زجاجي يحوى: رأس آمون ـ سرابيس

عن طريق الربط الدينى بين أوزوريس وأبيس ظهرت تحت حكم الملوك البطالمة عبادة سرابيس ليكون غالباً إله موحّد لسكان مصر المصريين واليونانيين معاً. وفى العصر الرومانى أخذ التوحيد بين سرابيس وكل من آمون وزيوس يشتد وبدأ يُعبد أيضاً خارج الحدود المصرية. والرأس الجرانيتية التى عُثِرَ عليها فى إلفنتين تُمَثل أيضاً آمون ـ سرابيس بقرون الكبش الجانبية والذقن الكثيفة وترجع للفترة ما بين القرنين الأول ق.م والأول الميلادى. وقد كانت الرأس مغطاة بطبقة من الجص المذهّب، لاتزال بعض البقايا القليلة منها ظاهرة.

(٤) الركن الأيسر: تماثيل ملكية

فى اليسار: جسد تمثال لأمنحتب الثانى (أسرة ١٨ حوالى ١٤٢٥ ق.م) من الجرانيت يمثله متعبداً
فى الوسط: جسد تمثال لرمسيس الثانى (أسرة ١٩ حوالى ١٢٥٠ ق.م) من الحجر الرملى
فى اليمين: جسد تمثال ملكى من الجرانيت الأشهب (عصر متأخر)

(٥) الحائط المواجه للداخل إلى المتحف: لوحة الملك ست نخت (أسرة ٢٠)

تم العثور على لوحة الملك ست نخت مؤسس الأسرة ٢٠ محطمة ومُعاد إستخدامها فى أرضية أحد المبانى الرومانية، ولحسن الحظ كان وجهها المنقوش موجّه إلى أسفل. وكانت هذه اللوحة قد وضعت فى معبد خنوم فى العام الثانى من حكم ست نخت (حوالى ١١٨٠ ق.م).

المنظر المنقوش فى أعلى اللوحة، يمثل الملك وهو يقدّم تمثال صغير للإلهة ماعت إلى الإله خنوم الممثل برأس الكبش، كرمز للنظام الكونى العادل، الذى على الملك أن يكفله. وقد كانت الإلهة ساتت مصورة على يسار المنظر والإلهة عنقت على يمينه، والأثنتان كانت تمثلان مع خنوم ثالوث إلفنتين.

ولكن لم يبق من صورة ساتت سوى قدميها، كما لم يبقى إلا أقل القليل من صورة عنقت نتيجة لإعادة إستخدام اللوحة فى تبليط أرضية المبنى الرومانى.

أما الجزء الرئيسى من اللوحة فيشغله نص طويل، كان يتكوّن غالباً من حوالى ٢٠ سطر، وهو يصف إستيلاء ست نخت على العرش وتغلبه على أعدائه. وكما هو الحال فى معظم النصوص التاريخية التى ترجع لعصور مصر الفرعونية، فإنها لا تهدف إلى وصف الأحداث كما وقعت بأمانة تامة ولكنها قد تعمد إلى المبالغة أو تجاهل بعض الأحداث لسبب أو لأخر، وفى لوحتنا يتعلق الأمر بوصف الإنتفاضة العسكرية التى قام بها ست نخت ضد ورثة الأسرة ١٩. وقد ركز النص أكثر على الجانب العقائدى، ونَسَجَ الحقيقة فى سياقه. وفى هذا الإطار يمكن إعتبار نص ست نخت شاهد بارز على ثيوقراطية السياسة (أى تدخل حكم الدين فى السياسة) فى الدولة الحديثة. حيث يتم إظهار مشيئة الإله على أنها المُحَددة والمُسَيِّرة للحدث التاريخي. ويعتمد رخاء البلاد على إستمرار قيام العلاقة مع الإله على الخشوع والخضوع. والملك أيضاً مرتبط فى كافة أفعاله بمشيئة الإله، ولا يمكن أن يحرز نجاح سياسى إلا إذا كان هذا متمشياً مع رغبة الإله.

(٦) الركن (النيش) الأيمن: تمثال جالس لتحتمس الثانى

التمثال الذى نُحت غالباً فى عهد أخته الملكة حتشبسوت يمثل الملك تحتمس الثانى (أسرة ١٨ حوالى ١٤٩٠ ق.م) يلبس رداء عيد السد. وقد اضيف له فيما بعد نص قصير على حجر التمثال يذكر أسم الملك مرن بتاح (أسرة ١٩ حوالى ١٢٢٠ ق.م)، ربما ليستفيد هذا الملك من الطقوس التى تقام لهذا التمثال.

(٧) الفاصل الأيمن: نقش على الحجر الجيرى للملك سنوسرت الأول

فى إطار آخر التجديدات التى طرأت على معبد الإلهه ساتت فى العصر البطلمى (راجع اللوحة الإرشادية رقم ١) تم فصل هذا النقش عن عمود من معبد ساتت الذى يرجع للأسرة ١٢ (راجع اللوحة الإرشادية رقم ٢٥) والذى كان قد هُدِمَ منذ زمن بعيد، وأضيف للنقش نص بالخط الديموطيقى ثم وضع فى أسفل طبقات أساسات المعبد البطلمى الجديد. ويحتوى النص على معلومات عن هدم مبنى المعبد الذى يرجع للدولة الحديثة والعمل فى إقامة المبنى الجديد فى عهدى بطليموس الرابع وبطليموس الثامن (حوالى ١٥٠ ق.م).

(٨) الفاصل الأيمن: جزء من لوحة

ذلك الجزء يعد من القطع النادرة التى تحمل اسم الملك تكلوت الأول أو الثانى من ملوك فترة الإضطرابات فى الأسرة ٢٢ (حوالى ٩٥٠ - ٧٥٠ ق.م). ومن الجدير بالملاحظة فى الجزء المنقوش بالمناظر فى اللوحة التصوير المُفصّل لرمز الإله أوزوريس الخاص بأبيدوس.

(٩) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: كنز عملات

وجد كنز العملات هذا مخبأ فى داخل بناء سلّم أحد المنازل البطلمية عام ١٩٨٨. ونستنتج من العثور على العملات وهى غير محفوظة فى وعاء معيّن، أنها لم تدخر هناك عبر الزمن، بل خبأت ككل ثم يبدو أنها نُسيَت. الكنز عبارة عن ٦٧٩ عملة تتضمن ثلاثة فئات نقدية مختلفة من عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢٨٢ - ٢٤٧ ق.م). وهناك ٣٩ قطعة عملة فقط عليها سكة من عهد بطليموس الرابع فيلوباتر (٢٢٢ - ٢٠٥ ق.م). وقد كانت قيمته فى ذلك الوقت ضخمة. عند تحويل القيمة الكلية للكنز إلى درخمات نجدها تبلغ ٣٨٠ درخمة وهى تعادل أجر عامل لمدة ما بين ٥٠ إلى ٦٠ شهر. وهو كان يكفى لشراء ١٥ حماراً كبيراً أو ٣٨ رداء بسيطاً.

(١٠) دولاب عرض زجاجى يحوى: وديعة أساس سنوسرت الأول

كل بناء جديد لمعبد كان يبدأ بمراسم تأسيس، توضع فيها ودائع من القرابين فى أماكن مختارة. وقد عُثِرَ على إحدى ودائع أساس معبد ساتت فى حفرة أسفل الركن الشمالى الغربى للسور المحيط بمعبد الأسرة ١٢ (حوالى ١٩٥٠ ق.م)، كانت ضمن ودائع أساس مبنى ساتت الجديد الذى أقامه سنوسرت الأول. كانت تحتوى على عظام الأضحية (ماشية وأوز النيل) إلى جانب نماذج آنية من الفخار وبعض قوالب الطوب اللبن الذى يحتوى على بطاقات صغيرة عليها أسم الملك الحاكم سنوسرت الأول (انظر دولاب العرض الزجاجى ١٢).

(١١) دولاب عرض زجاجي يحتوى على: مكتشفات من معبد ساتت الذى يرجع للدولة القديمة

أثناء التجديدات العديدة لمعبد ساتت فى الدولة القديمة (انظر اللوحة الإرشادية رقم ٣) كانت القرابين التى تجمعت تبقى فى حرم المعبد وتُردم فى أرضية مبنى المعبد الجديد. وتمثّل تماثيل الأشخاص والحيوانات الفخارية الصغيرة وفى حالات نادرة الحجرية أكثر أنواع القرابين التى تقدّم فى المعبد شيوعاً فى الدولة القديمة. وبينما يجب إعتبار التماثيل الصغيرة التى تتخذ أشكال شبيهة بالإنسان كنوع من النائب عن مقدمها، الذى يتوجه برجاء إلى الإلهة، فإن تماثيل القردة كانت توضع فى المعبد غالباً بواسطة أهل الأموات تجسيداً لهؤلاء الأموات حتى يستيفدوا من الطقوس العامة ومن القرابين التى تقدّم فى المعبد. الأشكال الأخرى مثل المراكب الصغيرة بشكل القنفذ تعبر غالباً عن طلب الحماية (مثلاً أثناء الإبحار). أما التماثيل الصغيرة لأطفال أحياناً ترفع أصبعها إلى فمها والتى كانت تُصنع بكثرة كانت تقدم للمعبد شكراً على الصحة أو طلباً لها.

كما كانت الأدوات التى تستخدم فى الطقوس وباقى متعلقات المعبد، مثل السكين الطقسية الكبيرة المصنوعة من حجر الزيلكس Silex (من الأحجار النارية) وآنية حفظ الزيوت وغيرها من الآنية الحجرية الثمينة تحفظ فى المعبد. أقدم أبنية المعابد والتى كانت مقامة من الطوب اللبن كان قدس الأقداس فيها مزّين غالباً ببلاطات صغيرة من الفيانس. ولكن بطاقة الفيانس (المعلقة على الحائط الخلفى) التى تحمل أسم وألقاب الملك بيبى الأول تمثل غالباً جزء من وديعة أساس.

(١٢) دولاب عرض زجاجي يحوى: مكتشفات من معابد ساتت فى الدولتين القديمة والوسطى.

كانت ضمن وديعة أساس سنوسرت الأول (انظر دولاب العرض الزجاجى ١٠) تلك البطاقات الأربع المنقوشة بأسمه والمصنوعة من الفيانس والألبستر والفضة والنحاس. كما يمكن إعتبار عدد من مجموعات الآنية المصنوعة من الفخار والفيانس والألبستر ودائع أساس. وبينما من المحتمل أن تكون التمائم دُفِنَت فى الأرض للإعتقاد فى قدراتها على درء الشر وقدراتها السحرية، فمن المُتخيّل أن الأعداد الوفيرة من القلائد والخرز التى عُثِرَ عليها فى المعبد كانت لزينة التماثيل.

هناك مجموعة خاصة من القرابين تمثلها الأحجار الطبيعية غير المُشكّلة والتكوينات المعدنية فى الحجر الرملى (بأسفل يساراً). وهى جُمِعَت لأشكالها الغريبة وشُبّهَت بأشكال كائنات وظلت تقدّم بصفتها أحجار مقدسة كقرابين فى المعبد حتى الدولة الوسطى.

(١٣) دولاب عرض زجاجي يحوى: محتويات المنازل

وإذا كانت محتويات المعبد كانت تدفن فيما بعد فى أرضيته بحيث تكشفها الحفائر، فلم يُترك فى الأحياء السكنية فى المدينة سوى فى حالات نادرة أوانى وأدوات سليمة:

١ ـ قطع لعب من الفيانس (دولة قديمة) ومن العاج (دولة وسطى) ٢ ـ زهر من الحجر الرملى والفخار المحروق (عصر متأخر) ٣ ـ تماثيل فخارية صغيرة للطقوس الدينية المنزلية وللممارسات السحرية (دولة وسطى) ٤ ـ قارورة العام الجديد (تهدى بمناسبة العام الجديد) من الفيانس (عصر متأخر) ٥ ـ إناء من الحجر الجيرى عُثِرَ عليه فى دفنه طفل صغير داخل منزل من الدولة الوسطى ٦ ـ هون (دولة وسطى) ٧ ـ قناديل (رومانية)

(١٤) دولاب عرض زجاجي يحتوى على: أثاث

الأثاث فى المنازل كان غالباً ما يقتصر على كراسى بسيطة بدون مسند وأسرة ومساند للرأس أثناء النوم وصناديق لحفظ الملابس والممتلكات القيمة. ولكن بعض المنحوتات الخشبية التى عُثِرَ عليها فى المنازل التى ترجع إلى الألفين الثانى والأول ق.م (١ و ٢) تدل على وجود أثاث فخم من تلك الفترة. وعند تلف الأثاث كان يعاد استخدام المواد التى صنع منها أو تستخدم كوقود للنار. النماذج الكاملة المعروضة مثل صندوق الملابس ومساند الرأس التى ترجع للأسرة السادسة (حوالى ٢٢٠٠ ق.م) عُثِرَ عليها جميعاً فى مقابر، وضعت فيها مع المتوفى ليستخدمها فى العالم الأخر.

(١٥) فاصل به: أربعة لوحات من أواخر الدولة الحديثة (القرن ١٢ ق.م)

اللوحات الأربعة، التى عُثِرَ على ثلاث منها فى معبد طائفة خاصة (انظر اللوحة الإرشادية رقم ١٧) تُظهر بوضوح تباين المهارة والجودة فى الورش المحلية فى إلفنتين. أكبر تلك اللوحات مقدّمة من عامل البناء المدعو نب نخت لأبيه المشرف على مخازن الغلال المدعو قنن. وعليها يوجد تجميع غير معهود لآلهة يضم إلى جانب آمون والثالوث المحلى خنوم وساتت وعنقت إلهتين - مرت سجر و ورت حقاو - عبدتا بصفة خاصة فى طيبة. وربما كان السبب فى ذلك الصلة الوثيقة التى يبدو وإنها كانت تربط بين إلفنتين ودير المدينة، التى كانت مدينة العمال والفنانين فى طيبة (الأقصر) الغربية.

(١٦) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: أدوات للزينة

عُثِرَ فى مقبرتين من الدولة القديمة على كم كبير من الحلى وأدوات الزينة. حيث كانت الصناديق الخشبية الصغيرة التى تدفن مع المتوفى تحتوى على أساور من العظم مركّبة على حوامل لحفظها عند عدم الإستخدام (أنظر دولاب العرض الزجاجى ١٧) وكذلك مرايا من النحاس وإناءين للزيوت من الحجر وأعواد صغيرة لتثبيت الشعر. ويذكر نص على إحدى المرايا إنه ملك كاهنة حتحور السيدة إدوت. أما لوحات صحن الكحل والهون الصغير المستخدم فى ذلك فقد عُثِرَ عليها فى الأحياء السكنية وقد كان الرجال والنساء يتكحلون على حد سواء. وكان الكحل المصحون يحفظ فى آنية حجرية صغيرة طويلة (الرف الأعلى).

(١٧) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: الحلى

بينما تندر الزينة المعدنية التى كثيراً ما كانت تُشغل بها الملابس (١) فى طبقات الأحياء السكنية، نجد الحلى الذى يزين الجسد فى الحياة اليومية يتزايد ويتنوع على مر العصور. إلى جانب عنصر الزينة كان للدلايات دور سحرى. ومن جميع العصور نجد تمائم حامية بشكل عين الأوجات (بأسفل يساراً)، أما تماثيل الآلهة الصغيرة فلا تظهر كتمائم إلا إبتداءاً من الدولة الوسطى وتتزايد فى العصر المتأخر. وهناك سواران من العظم مركّبان على حامل لحفظهما عند عدم الإستخدام (بأسفل يميناً) جديران بالملاحظة عُثِرَ عليهما فى مقبرة من الأسرة السادسة.

(١٨) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: تماثيل آلهة وأدوات طقسية

رغم الظروف المناخية المناسبة فى إلفنتين لم تُحفظ لنا التماثيل الخشبية إلا فى حالات نادرة وتكون فى حالة سيئة من الحفظ. ولكنها لابد أنها كانت موجودة بأعداد وفيرة، يدل على ذلك مجموعة كبيرة من الإضافات البرونزية التى كانت تركّب لتماثيل الآلهة الخشبية (ذقون، ثعبان كوبرا يزين الجبين، رؤوس نسور، تيجان إيزيس) والتى عُثِرَ عليها مجمّعة ومدفونة فى الشرفة الرومانية التى تتقدم معبد خنوم.

وإلى جانب التعبّد فى المعابد الكبيرة التى كانت تقيمها وتديرها الدولة، كانت المحاريب المنزلية وممارسة السحر تمثلان شكل أخر من الحياة الدينية. كانت هناك فى الدولة القديمة تماثيل طينية صغيرة غليظة الصنع تُمثّل مكتوفة الأذرع تهدف إلى درء خطر الأعداء، فكان يُكتب عليها تعويذة سحرية ثم تُدفن. خلف تلك التماثيل يوجد نقش بارز من الدولة الوسطى يعبر عن موضوع مشابه.

١ ـ لوحة صغيرة رمزية من منزل يرجع للأسرة ١٣ ٢ ـ تمثال للإله آمون الذى كان يعبد ثانوياً فى إلفنتين (دولة حديثة) وعلى عمود ظهر التمثال يوجد نص قصير موجّه لآمون ٣ ـ قاعدة خشبية مطعّمة بنص لتمثال صغير للمدعو بادى آمون (عصر متأخر) ٤ ـ مصفقات موسيقية (عصر متأخر)

(١٩) على الحائط: رأس تمثال لإله

طبقاً للأسلوب الفنى لهذه الرأس ربما كانت تنتمى لأحد تماثيل الآلهة العديدة التى أقامها الملك أمنحتب الثالث (أسرة ١٨ حوالى ١٣٧٥ ق.م) فى مختلف معابد مصر. ونظراً لأن الرأس لا تمثل خنوم أو آمون فهى تدل على أن آلهة أخرى مذكرة كان يوجد لها تماثيل كبيرة فى معابد إلفنتين.

(٢٠) دولاب عرض زجاجى يتعرض: للتجارة والإدارة

كانت الدولة فى مصر القديمة تحتكر إلى حد كبير خيرات وموارد البلاد وتقوم بتوزيعها على أفراد الشعب وفقاً لنظام توزيع محدد. ومع مرور الزمن ظهرت وتطورت أساليب لمراقبة التنفيذ الصحيح لنظام التوزيع. والدليل الأثرى على تلك المراقبة هو وجود كميات كبيرة من الكسارات لمختومات مصنوعة من طمى النيل غير المحروق، كانت توضع لختم الآنية وسدادات مخازن الغلال والصناديق. كما كان الطمى المبتل يوضع على الشريط الذى يربط ورقة البردى المطوية ثم يختم. وقد إستخدمت فى الدولة القديمة الأختام الأسطوانية المصنوعة من الخشب أو الحجر وكانت عليها علامات هيروغليفية تنطبع على الطمى المبتل عند تمرير الختم عليه. وفيما بعد حلّت الأختام بشكل الجعران وغيرها من الأختام التى أصبحت مختوماتها تحتوى أيضاً على بعض الأشكال الزخرفية محل الأختام الأسطوانية.

المختومات التى عُثِرَ عليها معظمها كانت مثبتة على بضائع مخزّنة وعلى حجرات التخزين لتُأكّد على حسن التخزين، حيث أن أى تلاعب كان سيؤدى إلى كسر الختم. وهناك مختومتان من الطراز المستخدم فى الدولة الوسطى لختم الأوانى، وكل منهما عبارة عن كسر من قطعة مستطيلة من الطمى وعليهما الختم الرسمى لعمدة إلفنتين المدعو أمينى سنب (على اليسار فى الخلف)، الذى عُثِرَ له أيضاً على تمثال فى مقصورة حقايب (انظر اللوحة الإرشادية رقم ١٨). أما المختومة المثبتة على بردية والتى عليها ختم من عصر الهكسوس فهى بدون شك أجنبية. وفى العصر الرومانى وما بعده استخدمت الأختام أيضاً لتزيين الأوانى الفخارية.

ومن القطع النادرة التى ظهرت فى الحفائر إناء صغير يرجع للأسرة ٢٦ كان يحتوى على ثلاثة أكياس صغيرة من الكتان، فى كل منها ١٥,٥ جرام من قطع الفضة الصغيرة. وكونها معبئة فى أكياس بكمية محددة فهذا يدل على انها كانت وسيلة للدفع والشراء، بل أحد مراحل تطور أساليب التسديد النقدى، من المرحلة التى كان لابد فيها من تحديد وزن الفضة فى كل مرة قبل أن تستخدم فى تسديد ثمن أى شئ، وحتى إبتكار العملات المعدنية التى تمثل قيمة معيّنة.

١ ـ إناء من طراز تل اليهودية من فلسطين (الأسرة ١٣). ٢ ـ جزء من إناء يونانى كانت تأتى فيه الواردات من اليونان. ٣ ـ بطاقات خشبية عليها كتابات آرامية (أسرة ١٧).

(٢١) دولاب عرض زجاجى يتعرض: لعملية النسج والمنسوجات

الورش الحرفية الحكومية كانت تقع غالباً بالقرب من المعابد الكبيرة. ولكن العثور على أدوات مستخدمة فى الصناعات المتنوعة متناثرة فى جميع الطبقات الأثرية للمناطق السكنية يُرجّح أن بعض الحرف كانت تمارس فى المنازل. ومن تلك الأدوات المغازل والمخارز والملاقيط، التى تشير إلى تصنيع النسيج والمنتجات الجلدية ولم يتغير شكل هذه الأدوات كثيراً حتى يومنا هذا. أما أنوال النسيج فقد تغيرت على مر الزمن الأثقال التى تثبت بها لشد النسيج. فبعد أن كانت من الحجر أو الفخار، أصبحت فى أواخر الدولة الحديثة أثقال مصنوعة من الطين غير المحروق وأشكالها غير منتظمة. وربما كان السبب فى هذا التبسيط فى مادة صنع الأثقال هو زيادة الطلب عليها نتيجة للتوسع فى صناعة النسيج.

(٢٢) دولاب عرض زجاجى يحتوى على أدوات الصيد وصيد الأسماك والزراعة

نظراً لكون إلفنتين جزيرة فإن صيد الأسماك كان يمثل ركيزة رئيسية فى طعام أهلها. وكان صيد الأسماك يتم بطريقة منظمة بواسطة شباك كبيرة مخروطية الشكل (ترول) تسحب خلف مراكب الصيد فى الماء ،كان بها أثقال مختلفة الأحجام والأشكال (١٠) تشد جزء من الشباك إلى أعماق النهر بينما وجد عوامات خشبية صغيرة بشكل رأس الحَربة (١١) تضمن بقاء الشباك مفتوحة أثناء جذبها فى الماء.

وفى صناعة الأسلحة والأدوات الحادة حل المعدن محل الحجر الصوّان الذى كان تصنيعه قد بلغ فى الدولة القديمة مرحلة متقدمة من التطور (انظر السكين الطقسية فى دولاب العرض الزجاجى ١١).

ولكن الحجر الصوّان إستمر إستخدامه على سبيل المثال فى صناعة شفرات المناجل. ونادراً ما كانت الأدوات المعدنية المستهلكة تترك فى المنازل حيث كان عادة ما يتم صهر المعدن من جديد لقيمته المادية العالية.

١ ـ نموذج مركب عليه كتابات هيراطيقية (دولة قديمة)

٢ ـ عدد من البمرنغ (وهو عبارة عن قطعة خشب ملوية أو معقوفة تقذف لتصيب الهدف) (عصر متأخر)

٣ ـ منجل خشبى (دولة وسطى)

٤ ـ يد خشبية للتذرية (عصر متأخر)

٥ ـ عصا لدرس الحبوب (عصر متأخر)

٦ ـ رأس سهم (عصر متأخر)

٧ ـ سكين حديدية (رومانية)

٨ ـ حَربة (دولة وسطى)

٩ ـ رؤوس سهام (عصر متأخر)

(٢٣) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: أدوات الصناعة

لقد عُثِرَ فى المدينة إلى جانب الآلات التى ظهرت فى الورش الحرفية، على عدد من الأدوات التى كانت تستخدم فى إنشاء المنازل والمعابد. ومن ذلك:

١ ـ فادن (أداة مؤلفة من خيط فى طرفة قطعة حجر يسبر بها غور المياه أو تمتحن استقامة الجدار)

٢ ـ مطرقة خشبية

٣ ـ أحجار شهباء صلبة تُصقل بها الأحجار الأخرى الأقل صلابة. وربما كانت أداة الجذب المعروضة فى وسط دولاب العرض لتهذيب الجدران بعد طلائها بالملاط (الجبس) مباشرة.
أما قطعة الحجر الجيرى المنقوشة (على اليسار فى الخلف) فربما كانت نموذج يُنقل منه عند نقش جدران المعابد أو مجرد لوحة كان يتدرب عليها فنان مبتدئ.

٤ ـ نموذج لتصنيع القناديل (رومانى)

٥ ـ نموذج لتصنيع التمائم من الفيانس

٦ ـ فؤوس نحاسية (عصر اللامركزية الثانى)

(٢٤) دولاب عرض زجاجى يحتوى على: منحوتات

بالإضافة إلى التماثيل الرسمية التى كانت تُنحت لتقام فى المعابد، مثل التمثال الملكى المعروض فى وسط دولاب العرض والذى يرجع لأواخر الدولة الوسطى، فقد تطور فن النحت المصرى وأنتج لنا كم هائل من المنحوتات الصغيرة المتنوعة. ويدل العثور على تماثيل نصفية وتماثيل أخرى صغيرة داخل أنقاض الأحياء السكنية على أن التعبد للآلهة كان يتم فى المنازل أيضاً أو ربما أرتبطت تلك التماثيل

بتعبد للأسلاف. وتصعب أحياناً التفرقة بين تلك التماثيل وغيرها التى كانت ترتبط بالممارسات السحرية، كما هو الحال غالباً مع تمثال التراكتا (الطين المحروق) الذى يمثل سيدة وطفل على سرير.

كما كان من المستحب تزين بعض الأدوات التى كانت تستخدم فى الحياة اليومية عن طريق النحت، فنجد حامل معد ليوضع عليه قناديل أو إناء لحرق البخور منحوت على هيئة قرد يتشبث بعمود يرجع لعصر الدولة الوسطى وكذلك منحوتة صغيرة من العاج (١) تمثل الجزء الأوسط من ملعقة للدهون ترجع للعصر نفسه.وتتضح التأثيرات النوبية فى تمثال جالس صغير بسيط الصنعة (٢). (عصر اللامركزية الثانى القرن ١٧ أو ١٦ ق.م)

(٢٥) الجدار الجانبى: ثلاثة تماثيل من الدولة الوسطى

كان التمثالان الأيسر والأوسط مقامين فى معبد الإلهة ساتت فى الدولة الوسطى، أما التمثال الأيمن فقد عُثِرَ عليه فى أنقاض منزل من العصر المتأخر، ولكنه غالباً كان أصلاً مُقاماً فى مقصورة حقاإيب (انظر اللوحتين الإرشاديتين ٢٤ و١٨). التماثيل الثلاثة لأشراف. وبالنسبة للتمثال الذى يمثل رجل وزوجته فقد أصبح صاحبه فيما بعد المشرف الإدارى على منطقة الكاب. أما الرجل الجالس على الأرض فقد أصبح لفترة وجيزة أثناء إضطرابات الأسرة ١٣ (حوالى ١٧٠٠ ق.م) ملكاً حاكماً لمصر.

(٢٦) أحدث المكتشفات

تُعرض فى دولاب العرض الزجاجى هذا قطع منتقاه من أحدث المكتشفات التى تُخرجها الحفائر. ويوجد شرح القطع داخل دولاب العرض نفسه.

(٢٧) وثيقة عقد قران

وثيقة عقد القران مكتوبة بالخط الديموطيقى. وهى أكثر الوثائق إكتمالاً ضمن سبعة لفائف بردية كانت تمثل أرشيف أحد العائلات، عُثِرَ عليها فى موقد أحد منازل الأسرة ٣٠ (حوالى ٣٥٠ ق.م).

فى هذه الوثيقة المؤرخة بالعام الثامن من حكم الملك نختنبو الثانى، يعلن المدعو بت إيزيس إنه إتخذ السيدة تاريشوت زوجة له. وإنه حصل منها على مبلغ من المال (دبن فضة كان فى ذلك الوقت يساوى قيمة عشرة أثواب نسائية) وعلى ملابس وأدوات نحاسية، عليه فى حالة هجره لزوجته أو إنفصاله عنها بالحسنى أن يرد إليها كل هذه الأشياء فوراً. ويتعهد الرجل أنه فى حالة عجزه عن تسديد

"الحق" المثبت فى هذه الوثيقة، لابد أن يقدّم للزوجة نفقة شهرية تتكوّن من القمح والزيت والمال حتى يتم تسديد "الحق"، بمعنى أن يرد قيمة كافة الأشياء التى أدخلتها الزوجة معها إلى عش الزوجية عندما تم الزواج. ومن ناحية أخرى هناك صيغة، ظهرت فى هذه الوثيقة لأول مرة، توضح أن على الزوجة فى حالة الطلاق أو الإنفصال أن ترد الثوب الذى كانت تلبسه على جسدها عندما تركت منزله مغسولاً قبل نهاية مهلة معيّنة. وفى النهاية يقر الرجل إنه لا يستطيع أن يدّعى إنه أعاد المال والأدوات النحاسية والملابس إلى مطلقته، طالما بقيت هذه الوثيقة فى حوزتها.

وتنتهى الوثيقة بتوقيع الكاتب حورساإيست، وعلى ظهر الوثيقة يوجد توقيع عشرة شهود، بل وربما بلغ عددهم ستة عشر شاهداً.

(٢٨) دولاب عرض زجاجى توضح محتوياته: تطور خطوط الكتابة فى مصر القديمة

ظهر فى عصر مبكر خط مختصر عن الخط الهيروغليفى يطلق عليه أسم الخط الهيراطيقى (ويظهر هذا الخط على قصاصات البردى المعلقة على الجدار الخلفى لدولاب العرض والتى ترجع لعصر الدولة القديمة). وخلال الألف الأخير قبل الميلاد تطور عنهما الخط الديموطيقى وهو أكثر إختصاراً. (انظر الخطاب المعروض على اليسار، والذى يرجع إلى القرن الثانى ق. م).

وبعد إحتلال الإسكندر لمصر عام ٣٣٢ ق.م وإدخال اللغة اليونانية كلغة رسمية للبلاد أصبحت جميع الوثائق الرسمية تصاغ باليونانية. ويحتوى جزء البردية المعروض بأعلى الجدار الخلفى فى الوسط شكوى موجّهة إلى الملك بخصوص مَظلِمَةً (ترجع إلى القرن الثالث ق.م). ويرجع جزء البردية المعروض إلى اليمين من السابقة والذى يحتوى على حكم أصدره مجمع قضاة إلى نفس القرن.

وقد كانت أرخص المواد التى يُكتب عليها هى كِسَر الفخار، حيث كان الأمر يتطلب فقط إلتقاطه من بقايا الآنية المحطمة، وبالتالى كان أكثر المواد التى يكتب عليها شيوعاً. وغالباً ما كانت تكتب عليها الإيصالات أو القوائم وكان الفنانين يرسمون عليها مسودات صور الأشخاص الذين يريدون تنفيذها. ولم يقتصر الأمر على كِسَر الفخار بل كانت بعض الآنية الكاملة تستخدم كمادة رخيصة للكتابة عليها. وقد عُثِرَ فى بقايا منزل من الأسرة ١٢ (انظر اللوحة الإرشادية رقم ١٩) على إناء عليه كتابة بالخط الهيراطيقى من الداخل والخارج (معروض بأسفل على اليمين) وهو مؤرخ بالعام ٤٦ من حكم ملك (محتمل أن يكون أمنمحات الثالث). والكتابة عبارة عن قوائم بأشخاص تم توزيع سلع مختلفة عليهم. كما تذكر تزويد حملة متجهة إلى النوبة لإنتاج الفحم بالمؤن.

(٢٩) دولاب عرض زجاجي يحتوى على المنتجات الفخارية التى ترجع إلى الدولتين القديمة والوسطى

معظم ما يُعثر عليه فى الحفائر، خاصة فى أنقاض الأحياء السكنية يكون عبارة عن آنية فخارية محطمة تركها أصحابها لأنها لم تعد ذات قيمة لهم. وتختلف درجة التحطم من إناء لأخر وفى بعض الأحيان تكاد تكون سليمة. وتكمن أهمية تلك المكتشفات بالنسبة لعلماء الآثار فى أن تطور أشكالها وتركيبة المواد المستخدمة فى صنع الفخار وإختلاف درجات الصقل ومعاملة الأسطح الخارجية للآنية الفخارية تسمح بتأريخ دقيق لها لا تتعدى فيه نسبة الخطأ عشر أو بضع عشر عاماً، وبالتالى يمكن تتبع وتحديد تاريخ الأحياء السكنية التى غالباً ما تفتقر لمصادر تأريخ أخرى. وعلى سبيل المثال نتتبع تطور القالب الفخارى الذى كان يوضع فيه الخبز ليوضع داخل الفرن. ففى الدولة القديمة كان الخبز يوضع فى إناء كبير قطره واسع وعمقه قليل وقعره كبير ومسطّح (معروض على الرف الأعلى فى الخلف على اليمين). ويقل قطر تلك الأوانى فى عصر اللامركزية الأول حتى يصبح السائد فى الدولة الوسطى مجرد قوالب مستطيلة ضيقة. وأخيراً يقل طول هذه القوالب إلى النصف فى الدولة الحديثة (معروضة فى الأمام).

إتخذت قعور معظم الأوانى المصرية القديمة منذ بداية الدولة القديمة الشكل الدائرى، ونتيجة لذلك ظهرت حوامل الأوانى دائرية الشكل أيضاً. وهناك قطعة من أحد الحوامل تدل على أنه كان له شكل غريب (بأعلى على اليسار) حيث اتخذ الجزء الأوسط منه شكل المثمن وهو شكل هندسى غير مألوف بالنسبة للأوانى الفخارية. وبينما تسود فى الدولة القديمة بالنسبة للأوانى الفخارية عالية الجودة عادة صقل الأسطح وطلائها بطبقة حمراء (الطشت والإبريق بأسفل على اليمين والإناء المجاور لهما على اليسار)، نجد أن معظم الأوانى الفخارية منذ أواخر الدولة الوسطى لا يتم صقلها. ولكن يشذ عن هذه القاعدة أوانى مصقولة عالية الجودة سوداء اللون (بأسفل على اليمين فى الأمام) لم يعثر على مثيلاتها خارج إلفنتين حتى الآن سوى فى الكرنك. ولم تكن الأوانى المصقولة الحمراء ذات الحافة السوداء منتشرة فى مصر إلا فى عصور ما قبل التاريخ. أما الحضارات النوبية المجاورة لإلفنتين والتى تميزت بالأوانى المزينة بخدوش دقيقة (الرف الأعلى) فقد إستمرت فى إنتاج الأوانى الفخارية الحمراء المصقولة ذات الحافة السوداء.

(٣٠) دولاب عرض زجاجي يحتوى على المنتجات الفخارية التى ترجع إلى الدولة الحديثة والعصور المتأخرة

من الجدير بالملاحظة أن الإهتمام بتزيين الأوانى الفخارية بالرسومات إقتصر على فترات قصيرة متقطعة على مر التاريخ المصرى القديم. فبينما إنتشرت فى عصور ما قبل التاريخ الأوانى المزينة بأشكال هندسية وآدمية لم يتم إنتاجها ثانية إلا مع بداية الدولة الحديثة، هذا إذا ما تغاضينا عن

بعض الأوانى النادرة المزينة برسومات والتى ترجع لعصر الدولة الوسطى (على الجدار الخلفى لدولاب العرض يميناً). ويعد الإناء ذا الوسط المنتفخ المزيّن بخطوط سوداء وحمراء نموذج شائع. وفى عهد الملك أمنحتب الثالث يتم تزيين بعض الأوانى برسومات عريضة باللون الأزرق الفاتح ولكن لا يمكن إعتبار تلك الأوانى هى المستخدمة فى الحياة اليومية. وفى حالات نادرة كانت تزيين بأشكال بارزة، على سبيل المثال (بأعلى على اليسار) بشكل أسرى مقيدين (أحدهم سورى والأخر نوبى) مثبتين على إناء فاخر. وربما كانت هناك تأثيرات أجنبية أوحت بالأشكال التى زيّنت بها الأوانى. كذلك لم ينتشر إنتاج الآنية ذات المقابض فى مصر سوى مع بداية الأسرة ١٨ وذلك أيضاً من خلال تأثيرات الآنية المستوردة من الخارج.

(٣١) إناء كبير للتخزين

إناء التخزين الكبير الذى عُثِرَ عليه مدفون حتى وسطه فى أرضية منزل يرجع إلى الأسرة ٣٠ (انظر اللوحة الإرشادية رقم ١٧) كان غالباً يستخدم فى تخزين القمح.

تم بعون الله وتوفيقه

مراجع أصدرها المعهد الألمانى للآثار

عن حفائر إلفنتين

M. ZIERMANN, Befestigungsanlagen und Stadtentwicklung in der Frühzeit und im frühen Alten Reich. Elephantine Bd. XVI. 1993.

G. DREYER, Der Tempel der Satet in der Frühzeit und im Alten Reich. Elephantine Bd. V (in Vorbereitung).

G. DREYER, Der Tempel der Satet. Die Funde der Frühzeit und des Alten Reiches. Elephantine Bd. VIII. 1986.

S. SEIDLMAYER, Ausgrabungen in der Nordweststadt 1979-1982. Das Gräberfeld des Alten und Mittleren Reiches und weitere Befunde. Elephantine Bd. XII (in Vorbereitung).

C. VON PILGRIM, Untersuchungen in der Stadt des Mittleren Reiches und der Zweiten Zwischenzeit. Elephantine Bd. XVIII. 1996.

W. KAISER und W. SCHENKEL, Der Tempel der Satet im Mittleren Reich. Elephantine Bd. VI (in Vorbereitung).

L. HABACHI, The Sanctuary of Heqaib. With contributions by G. HAENY and F. JUNGE. Elephantine Bd. IV. 1985.

D. FRANKE, Das Heiligtum des Heqaib auf Elephantine. 1994.

M. BOMMAS, Der Tempel des Chnum im Neuen Reich und in der Spätzeit. Elephantine Bd. XXIII (in Vorbereitung).

W. KAISER und S. SEIDLMAYER, Der Tempel der Satet im Neuen Reich und in der Spätzeit. Elephantine Bd. VII (in Vorbereitung).

A. KREKELER, Ausgrabungen in der Weststadt 1987-1992. Bauten und Stadtstruktur. Elephantine Bd. XXI (in Vorbereitung).

I. NEBE, Ausgrabungen in der Weststadt 1987-1992. Die Funde. Elephantine Bd. XXII (in Vorbereitung).

W. NIEDERBERGER, Der Chnumtempel Nektanebos' II. Architektur und baugeschichtliche Einordnung. Elephantine Bd. XX (in Vorbereitung).

H. JENNI, Die Dekoration des Tempels Nektanebos'. II Mit einem Beitrag von S. BICKEL, Die Dekoration des Tempelhaustores unter Alexander IV. und der Südwand unter Augustus. Elephantine Bd. XVII. 1998.

E. LASKOWSKA-KUSZTAL, Die Dekorfragmente der ptolemäisch-römischen Tempel von Elephantine. Elephantine Bd. XV. 1996.

H. JARITZ, Die Terrassen vor den Tempeln des Chnum und der Satet. Architektur und Deutung. Elephantine Bd. III. 1980.

P. GROSSMANN, Kirche und spätantike Hausanlagen im Chnumtempelhof. Elephantine Bd. II. 1980.

F. JUNGE, Funde und Bauteile. 1.-7. Kampagne, 1969-1976. Elephantine Bd. XI. 1987.

G. WAGNER, Ostraca Grecques d'Elephantine. Elephantine Bd. XIII. 1998.

D.A. ASTON, Pottery from the Late New Kingdom to the Early Ptolemaic Period. Elephantine Bd. XIX. 1998.

R.D. GEMPELER, Die Keramik römischer bis früharabischer Zeit. Elephantine Bd. X. 1992.

S. SEIDLMAYER, Die Felsinschriften auf und um Elephantine (in Vorbereitung).

ملحق الصور
١ - ٨

: ١ أ إلفنتين قبل بداية موسم الحفائر الأول ١٩٠٦ – ١٩٠٩

١ ب إلفنتين عام ١٩٩٨. صورة مأخوذة من فندق كتركت

٢ أ تل الأطلال الأثرى. صورة مأخوذة من ناحية الجنوب

٢ ب البوابة الجنوبية الغربية للمدينة في العصر العتيق والدولة القديمة (حوالى الألف الثالث ق.م)

٣ أ معبد ساتت. الأسرتان الأولى والثانية (حوالى ٢٨٠٠ ق.م)

٣ب معبد ساتت. بدايات الأسرة السادسة (حوالى ٢٢٥٠ ق.م)

٤ أ المبنى الجديد لمعبد ساتت الذى أقامه سنوسرت الأول (حوالى ١٩٥٠ ق.م)

٤ ب مبنى تبجيل حقاإيب. بدايات الأسرة ١٢ (حوالى ١٩٥٠ ق.م)

٥ أ المبنى الجديد لمعبد ساتت الذى أقامته الملكة حتشبسوت (حوالى ١٤٨٠ ق.م)

٥ب ساتت وخنوم وتحتمس الثالث

٦ أ جبانة كباش خنوم المقدسة. العصران البطلمى والرومانى (حوالى القرن الثالث ق.م ـ القرن الثانى الميلادى)

٦ ب منصة شرفة معبد خنوم الذى يرجع للعصرين البطلمي والرومانى

٧ أ الأحياء السكنية فى الألفين الثانى والأول ق.م

٧ ب الدرج الكبير عند مرسى المدينة (القرن الثانى الميلادى)

٨ أ متحف الحفائر (ملحق المتحف)

٨ ب قرابين اكتُشِفت فى معبد ساتت الذى يرجع للعصر العتيق (حوالى ٢٩٠٠ ق.م)

